



جامعة العربي التبسي - تبسة



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

مطبوعة بيداغوجية في مادة  
فلسفة التربية 02

موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر  
علم اجتماع التربية

إعداد:

الدكتور: كمال بوطورة

السنة الجامعية:



تبسه في : 04 ديسمبر 2022

الرقم: 188/م.ع.ك/ك.ع.ا.ا. 2022

## مستخرج من اجتماع المجلس العلمي للكلية

بناء على محضر اجتماع المجلس العلمي لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية المنعقد بتاريخ 08 نوفمبر 2022 بدورته العادية، وبناءا على تقارير الخبرة الايجابية وافق المجلس العلمي على اعتماد المطبوعة البيداغوجية المقدمة من طرف

- الأستاذ (ة): كمال بوطورة .

- تحت عنوان : فلسفة التربية 2 موجهة لطلبة السنة أولى ماستر علم الاجتماع التربية .

رئيس المجلس العلمي



رئيس المجلس العلمي لكلية  
العلوم الإنسانية والاجتماعية  
د. منصور هارون



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة نينوى  
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية  
قسم علم الاجتماع



تعليم بالتحريسي

ديبوتورة					
الخميس	الاربعاء	الثلاثاء	الاثنين	الاحد	السبت
-X-	-X-	-X-	سنة ثانية ماستر تربية ملتقيات ماستر 2 تربية محاضرة رقم 01 تجارة	-X-	-X-
-X-	-X-	-X-	-X-	-X-	-X-
-X-	-X-	-X-	-X-	سنة اولى ماستر تربية فلسفة التربية ماستر 1 تربية محاضرة رقم 01 تجارة	-X-
-X-	-X-	-X-	---	---	-X-
-X-	-X-	-X-	---	---	-X-
-X-	-X-	-X-	-X-	-X-	-X-



الصفحة	العنوان
3-1	قائمة المحتويات
6-4	مقدمة
21-7	المحور الأول: الفلسفة المثالية
7	تمهيد
8	1- تعريف الفلسفة المثالية
9	2- رواد الفلسفة المثالية
11	3- مبادئ الفلسفة المثالية:
12	4- مفهوم التربية المثالية
13	5- أهداف التربية المثالية
14	6- التطبيقات التربوية للفلسفة المثالية
18	7- بعض الانتقادات الموجهة للفلسفة المثالية
20	خلاصة
21	قائمة المراجع
37-22	المحور الثاني: الفلسفة الواقعية
22	تمهيد
23	1- أهم رواد الفلسفة الواقعية
30	2- مبادئ الفلسفة الواقعية
31	3- مفهوم التربية الواقعية
32	4- أهم المبادئ العامة لفلسفة التربية الواقعية:
34	5- التطبيقات التربوية للفلسفة الواقعية:
36	6- بعض الانتقادات الموجهة إلى الفلسفة الواقعية:
37	قائمة المراجع

الصفحة	العنوان
59-38	المحور الثالث: الفلسفة البراغماتية (النفعية)
38	تمهيد
39	1- رواد الفلسفة البراغماتية
41	2- مبادئ الفلسفة البراغماتية
47	3- التطبيقات التربوية للفلسفة البراغماتية
55	4- بعض الانتقادات الموجهة للفلسفة البراغماتية
58	خلاصة
59	قائمة المراجع
74-60	المحور الرابع: الفلسفة الوجودية
60	تمهيد
60	1- رواد الفلسفة الوجودية
64	2- أصول الفلسفة الوجودية
66	3- مبادئ الفلسفة الوجودية
67	4- التطبيقات التربوية للفلسفة الوجودية
71	5- بعض الانتقادات الموجهة للفلسفة الوجودية
74	قائمة المراجع
55-75	المحور الخامس: الفلسفة الطبيعية
75	تمهيد
75	1- تعريف الفلسفة الطبيعية
76	2- نشأة الفلسفة الطبيعية
76	3- مبادئ الفلسفة الطبيعية
78	4- رواد الفلسفة الطبيعية
80	5- المؤثرات التي بلورت الفكر التربوي عند روسو
81	6- أفكار روسو التربوية من خلال كتاب إميل
82	7- الحالة الطبيعية عند روسو
83	8- الحالة المدنية عند روسو
84	9- التطبيقات التربوية للفلسفة الطبيعية

85	6- بعض الانتقادات التي للفلسفة الطبيعية
87	قائمة المراجع
70-88	المحو السادس: الفلسفة الإسلامية
88	تمهيد
88	1- نشأة الفلسفة الإسلامية
89	2- مبادئ الفلسفة الإسلامية
91	3- أهداف الفلسفة الإسلامية
91	4- رواد الفلسفة الإسلامية
102	قائمة المراجع

**مقدمة:** إن فلسفة التربية هي الدراسة الفلسفية التحليلية النقدية للتربية من حيث ماهيتها وغاياتها وأهدافها وإمكانياتها وحدودها للوصول إلى نظريات تربوية وتفسيرات أساسية للعملية التربوية يمكن تطبيقها في مجال التربية بمختلف جوانبه؛ ولهذا أصبحت فلسفة التربية مجال مهم للغاية في الوقت الحاضر وتطبيقه بلا شك فعال كأداة للتعامل مع القضايا الإنسانية، وأن القضايا المتعلقة بالتربية لا يمكن التعبير عنها بدون وجود الفلسفة؛ وعليه أصبحت دراسة فلسفة التربية مهمة جدا بسبب دورها في تحديد الطريق الخاص بعملية التربية، والمساهمة في تعديلها ونقدها وتنسيقها لتواكب المشكلات والصراعات الثقافية، كما تمثل فلسفة التربية الجهد المستخدم في تنفيذ الأفكار الفلسفية في بيئة التربية، أو السعي إلى فهم نظرة الفلسفة العامة ضمن المكونات الخاصة بالتربية، ومن ثم تبحث عن القيم والمعرفة، وتنتقد الفروض القائمة عليها، وتساهم في توفير التنسيق الخاص بالعمليات التربوية، وجعلها تواكب مشكلات المجتمع.

وتظهر أهمية فلسفة التربية في أنها تمثل قاعدة رئيسية تعتمد عليها المؤسسات التربوية؛ حيث تساهم في تحديد الأدوات والأساليب والوسائل التربوية، كما تساعد في توضيح طبيعة النشاطات التربوية، وتحويلها من نشاطات عشوائية إلى وظائف واضحة وواعية للأهداف المطلوبة منها، كما تدعم التوافق بين البيئة والأفراد؛ مما يعزز من تجاوب التطبيقات التربوية مع الظروف البيئية، وتقديم المساعدة للأفراد على تغيير بيئتهم، وتساهم أيضا في إدراك الاشتغال الخاص بالعملية التربوية والربط بين مجالات الحياة والعمل التربوي، وتعزز فلسفة التربية القدرة على طرح وإعداد الأسئلة الخاصة بالتربية، ودعم التنفيذ والبحث، وبناء طرق فكرية حديثة لتقدم الدعم في الجانب التربوي، والتخلص من التناقض بين الجانب التطبيقي والجانب العملي في المجال التربوي.

وقد ظهر في ميدان التربية عدة مدارس فلسفية كان أساسها الخبرة التعليمية الناتجة عن التفاعل بين التلميذ والبيئة التي يستطيع أن يستجيب إليها، ولكل مدرسة فلسفية رأيها في بناء المنهج الدراسي، وسنتطرق إلى بعض هذه المدارس الفلسفية وفقا للمقرر الخاص بهذا السداسي موزعة على ستة محاور كآآتي:

المحور الأول: الفلسفة المثالية.

المحور الثاني: الفلسفة المثالية.

المحور الثالث: الفلسفة البراغماتية.

المحور الرابع: الفلسفة الوجودية.

المحور الخامس: الفلسفة الطبيعية.

المحور السادس: الفلسفة الإسلامية

الأهداف البيداغوجية: من المتوقع أن يحقق الطالب من خلال دراسة مادة فلسفة التربية ما يلي:

- الوقوف على مختلف المدارس الفلسفية التي ترسى عليها الأنظمة التربوية.

- إن اطلاع الطالب على علم المدارس الفلسفية يكسبه رؤية علمية ومنهجية لفهم مختلف للأنظمة التعليمية، ومحاولة إصلاح الخلل في أجزاء المنظومة التعليمية في ظل السياق المجتمعي ككل.

- التعرف على الأسس الفلسفية لأي نظام تربوي.

- مساعد الطالب على معرفة الخلفية المذهبية لمختلف النظم التربوية.



- معرفة الملمح الذي تسعى لتشكيله المؤسسات التربوية في المجتمع.
- جعل الطالب يدرك الأهداف التربوية التي تمثل تجسيدا لفلسفات بعينها وأداة لتشكيل شخصية المتلقي.
- المعارف المسبقة المطلوبة: على الطالب أن تكون لديه معارف مسبقة تتمثل أساسا في النظم التربوية في الحضارات المختلفة وفلسفتها التربوية.

## المحور الأول: الفلسفة المثالية

**تمهيد:** إن بتطور الإنسان تطورت معه جميع مجالاته الحياتية، وهذا راجع لفضوله وبحثه الدائم، ومن بين المجالات التي كانت محض اهتماماته هو مجال الفلسفة، فالفلسفة لم تتوقف علو موضوع واحد أو على مجال معين بل درست عدة مواضيع مهمة، ومن بينها الجانب المثالي للفلسفة أي القيم والمواقف التي تتواجد في ظواهرنا اليومية، بمعنى تفكيرنا الذاتي يكون باتجاه مثالي بقيم وأخلاق، وأن هذا الاتجاه الفلسفي قد وضع العقل -بلا شك- في مرتبة ذات أهمية كبرى، بحيث لا يكون العقل شيئاً آخر غير الروح مادام يشارك في طبيعة المطلق.

وبالرغم من وجود الجسم والبيئة الاجتماعية والطبيعية إلا أنهما في النهاية يدخلان في دائرة العقل ويذوبان داخله؛ ولذلك فالطبيعة الإنسانية لا ينظر إليها على أنها جسم منفصل يستجيب لدوافع بيئية، ولكنه جوهر لا يتأثر بعاملته إذا تأثر جزءه. ولهذا تنادي هذه الفلسفة بتربية الإنسان من جميع جوانبه حتى يصبح كلا مستقيماً، ولكن يبقى العقل هو صاحب الاهتمام الأكبر في مناهج هذه النظرية.

وإن الواقع بالنسبة للمثالي هو عالم العقل، والواقعية شيء خيالي أو روحي وليس مادياً، ويعتقد المثاليون أن الطبيعة تعتمد على العقل الشامل لله. وبناء على هذه النظرة، فالتعلم ليس ابتكاراً وإبداعاً - ولكنه تحقيق الفكرة المطلقة بالنسبة للحقيقة والخير والمثل التي وضعت سلفاً. وليست قيمة الأفكار مبنية على ما لها من أهمية في حياة التلاميذ أو ضرورة في إنجاز مشروعاتهم، أو في ترقية حياتهم، بل إن قيمة الأفكار في ذاتها، حيث إنها تصور الواقع الممثل للحقائق اللانهائية، ومن أجل ذلك فالأفكار جديرة بالتعلم. وهي تستحق أن يكون تعلمها هدفاً في حد ذاته.

والمثالية -عموما- وثيقة الصلة بالدين. وتؤمن هذه النظرية بأهمية الحق والخير والجمال. ويهتم المثاليون بالرياضة البدنية، لا من أجل الجسم، فهم لا يهتمون بالمادة، وإنما من أجل العقل.

إن أصحاب هذا الاتجاه يهتمون بالمثل العليا بالدرجة الأولى؛ فهم ينظمون تجارب الجنس البشري ويركزونها ليقدموها لقمة سائغة إلى الطفل.

وهذه الخبرة بحسب مروجي هذه الفكرة هي نوعين منها ما يختص بالبيئة الطبيعية ومنها ما يختص بالإنسان أي العلوم والإنسانيات.

وتعتبر المثالية من أقدم الفلسفات في الثقافة الغربية، التي ارتبط ظهورها ارتباطا وثيقا بزعيمها المفكر اليوناني أفلاطون، وهي كما عرفها لالاند: "الاتجاه الفلسفي الذي يرجع كل وجود إلى الفكر بالمعنى الأعم لهذه الكلمة". بمعنى آخر هي المذهب الذي يقول أن الأشياء الواقعية ليست شيئا آخر غير أفكارنا، وهي الفكرة التي نجدها عند أفلاطون في المثل العليا، إذ يرى أن أنفسنا كانت تسبح في هذا العالم، أين عرفت أسماء الأشياء بصورتها التامة، الكاملة، قبل نزولها إلى الأرض. وولوجها في الجسد أنساها أسماء الأشياء، فأصبحت تحاكي ما رآته وتعلمته في المثل العليا أو العالم الحقيقي، ومن أبرز أعلامها: أفلاطون، هيجل...الخ.

حيث نتجت عن هذه الأخيرة التربية المثالية وسنحاول في هذا المحور نتطرق إلى الفلسفة المثالية وأهم المبادئ التي تقوم عليها واستخداماتها في التربية

**1- تعريف الفلسفة المثالية:** هي موقف فكري من العالم والمعرفة والقيم والإنسان والمجتمع لهذا؛ وجدنا فلاسفة المثالية يجمعون على أن العالم أشياء وظواهر وعلاقات يعتمد على الذات العارفة أو القوى التي تدرك وجود العالم، وأن وجود العالم يصبح غير

ممکن في حالة انعدام الذات العارفة أو القوى المدركة، وأن الفلسفة المثالية تعني بوجه عام الاتجاه الذي يرجع الوجود إلى الفكر؛ أي أن الواقع الطبيعي الذي نعيشه ويحيط بنا هو روعي في أساسه (منى عوض أسباق محمد، 2016، ص 17)

2- رواد الفلسفة المثالية: هناك عدد من الفلاسفة ينظر إليهم كرواد ورموز للفلسفة المثالية في صورها المتعددة ولازالت أقوالهم الفلسفية ذات أثر عميق في التاريخ الفلسفي الانساني ليس ذلك في المجال التربوي فقط ولكن في شتى المجالات ومن أبرزهم على الإطلاق يأتي:

- أفلاطون (347-429 ق.م): ولد في مدينة أثينا أو في أجينا في أسرة أرستقراطية، ونال حظا عاليا من الثقافة من علم وأدب وشعر وفلسفة، إلا أن ميله كان لعلم الرياضيات وقضى معظم حياته يؤلف ويفكر في العلم والسياسة والتربية، ويمهد لها بالفلسفة، وقد تتلمذ أفلاطون على يد العديد من الفلاسفة ومنهم سقراط الذي كان له أثر كبير على فكره وحياته، أنشأ أكاديميته في أثينا عام (387) ق.م والتي كانت عبارة عن جامعة حفظت تراث اليونان الثقافي من هوميروس إلى سقراط، وبقي في الجامعة يعلم عن طريق الحوار والجدل، ومارس الكتابة قرابة أربعين عاما، ونشر أفكاره التربوية في كتابه "الجمهورية" و"القوانين" التي كانت مشتقة من فلسفته وبالأخص أفكاره في طبيعة الدول والمواطنة فيها، فوضع بذلك نظاما تربويا شاملا يكشف عن مواهب الفرد من أجل تحقيق العدالة والفضيلة في المجتمع، وركز على العقل وحده دون الحواس، ويعتبر أن التخصص وتقسيم العمل أساس الحياة الاجتماعية، كما آمن أفلاطون بقدرة التربية على علاج الفساد والتغيير للأفضل وتبدأ منذ الطفولة.

كما قسم أفلاطون المجتمع إلى ثلاث طبقات:

- طبقة الحكام ويتميزون بالحكمة، ويسيروا شؤون الدولة.

- طبقة الجند، ويتميزون بالقوة، وتسهر على أمن الحكام.

- طبقة العبيد، وهي الطبقة الخادمة، التي تقوم على خدمة طبقة الحكام.

وعلى كل طبقة احترام الطبقة الأعلى منها، فلا يجوز مثلاً لطبقة العبيد التطلع إلى طبقة الجند أو الحكام، وكذا الحال بالنسبة لطبقة الحكام فلا يجوز للحاكم أن ينزل إلى طبقة الجند أو العبيد، فما خلق إلا ليكون حاكماً، وليحكم الشعب وعليه وضع الرجل المناسب في المكان المناسب ليقوم بالعمل المناسب.

لكن يلاحظ أن آراؤه واتجاهاته بعيدة عن الواقعية والاجتماعية، وغير متناسقة في إطار فكري ينظمها ويحتويها، وقد ارتبط المذهب المثالي التقليدي باسمه وسميت مثاليته بالمثالية الإلهية (جعيني، 2004، ص111).

- رينيه ديكارت (1650\_1596م): يعد هذا الفيلسوف من الفلاسفة المثاليين على الرغم من أن جزءاً كبيراً من فلسفته تقع في نطاق الفلسفة الواقعية، فمنذ ريعان شبابه كان يحاول التوصل إلى معارف بشأن الإنسان والكون، ولكن تعمقه في دراسة الفلسفة أوصله إلى قناعة بجهله الكامل عن الوصول إلى معارف أكيدة، نشر معظم كتاباته في كتاب "مبادئ الفلسفة" عام (1637م)، وارتبط اسمه بمذهب الشك المنهجي الذي من خلاله يتوصل الباحث والدارس إلى اليقين، فأعطى قيمة للشك باعتباره نوعاً من التفكير، وأن التفكير ما هو إلا وجود، ووصل إلى المبدأ الآتي "أنا أفكر إذا أنا موجود"؛ أي أنه إذا انعدم التفكير انعدم الوجود، واعتقد أن الحقيقة قائمة في العقل ولا وجود لها خارجه، فمعرفة الأشياء الخارجية تكون بالذهن لا بالحواس، ولكنه يؤكد أن الفكر ليس سبباً في خلق الوجود على نحو ما يراه بعض المثاليين، إذ أنه فصل بين العقل والمادة، وبين الفكر والوجود كما فعل أفلاطون (جعيني، 2004، ص113).

- إيمانويل (كانط 1754\_1804م): من مشاهير الفلاسفة المحدثين، ويرى بعض المؤرخين والنقاد أنه عملاق الفلسفة الحديثة ومؤسسة الفلسفة النقدية وزعيم المدارس المثالية الألمانية، لقد عمل أستاذا للفلسفة في جامعة لكسمبورغ، وكان جوهر فلسفته الإيمان بوجود مفاهيم قبل التجربة أو خارجة عن نطاقها وهذا ما يشبه عالم الأفكار عند أفلاطون ويرى أن الحواس والعقل يلعبان دورا كبيرا في المعرفة مؤكدا مغالاة الفلاسفة العقلانيين في دور العقل ومبالغة التجريبيين في الوقوف فقط عند تجاربهم الحسية، أرجع كانط كل شيء للإيمان وأن القدرة على المعرفة هي من عند الله، وأمن بخلود الروح وبالضمير الحي واعتبرها مسلمات لفلسفته واختلف مع الفلاسفة المثاليين في جعل العقل باطنا في المادة، فالعالم الحسي لا يستطيع الوقوف على أرجله وحده فهو بحاجة مستمرة إلى أضواء المعرفة العقلية (جعيني، 2004، ص-ص 115-116).

- هيغل (1770\_1831م): ولد في ألمانيا في مدينة شتوتغارت ومارس تدريس الفلسفة في عدة جامعات، وقد اعتمد على كانط كثيرا وكان لفلسفته تأثير كبير على الكثير من الفلاسفة الماديين، دافع في كتاباته عن وجود حقيقة خارجة عن تجارب الإنسان، وأن كل ما يفعله البشر ما هو إلا نتاج لنشاط العقل المطلق الذي يعتمد عليه البشر الحسي، وهو لا يعتقد بوجود حقيقة خارج أو فوق العقل الإنساني، فكل معرفة هي معرفة إنسانية، آمن هيغل بالتطور الجدلي للأفكار، فكل فكرة تبنى على فكرة أخرى أقدم منها، ويعتبر الفلسفة هي العلم الأكثر سموا للعقل فهي مرآة روح العالم، وجاءت كتاباته كرد فعل ضد المثالية والتي تؤمن بوجود عقل مطلق في الطبيعة (شفشق، 1982، ص332).

3- مبادئ الفلسفة المثالية: من أهم المبادئ العامة لدى الفلسفة المثالية تتمثل فيما يلي: (العمارة، 2005، ص89).

- تركز الفلسفة المثالية على دراسة الأهداف الأخلاقية السامية

- تقوم على تمجيد العقل والروح معا وتقلل من دور المادة
- تؤمن بوجود عالمين: عالم الواقع وهو العالم الذي نعيش فيه وهو عالم فان وهو عالم المحسوسات، وعالم المثل وهو عالم مثالي لا وجود له على الأرض وهو عالم المثاليات والقيم المجردة وعالم المثل أسمى كثيرا من عالم الواقع؛ كما يرى أفلاطون أن الروح منبعثة من عالم المثل وأنها مسجونة بصفة مؤقتة في الجسم بحيث أنها تعود مرة أخرى بعد الموت إلى موطنها السابق، وعالم المثل يماثل الآخرة، وعالم الواقع يماثل الحياة الدنيا.
- تؤمن بوجود قيم ثابتة لا تتغير ولا يجوز الشك في صحتها.
- الحقيقة النهائية في نظر المثاليين هي الحقيقة المطلقة وتكتشف عن طريق العقل الذي يعتبر مصدرا للمعرفة.
- حياة التفكير والتأمل عندهم هي المثل الأعلى للحياة الإنسانية.
- ترى أن المجتمع يتكون من طبقتين هما: المفكرون والعمال
- 4- مفهوم التربية المثالية:** يرى المثاليون أن التربية ما هي إلا " مجهود الإنسان للوصول إلى هزيمة الشر وكمال العقل"، أما أفلاطون فقد قدم مفهوما للتربية فرض نفسه على تاريخ التربية عامة والتربية المثالية خاصة؛ فهي عملية تدريب أخلاقي والمجهود الاختياري الذي يبذله الجيل القديم لنقل العادات الطيبة للحياة ونقل حكمة الكبار التي وصلوا إليها بتجاربهم إلى الجيل الصغير وأنها نوع من التدريب؛ أي يتفق تماما مع الحياة العاقلة حينما تظهر. وتلخيصا لكل ذلك يرى أن التربية هي "علم الخير والشر"، ويرى المثاليون أن الغاية من التربية هي الكمال الروحي وسمو الأخلاق، فالتربية المثالية تهدف إلى تنمية السمو الروحي أولا ويكون على هدي من التوجيه وتوفير المعلومات الصالحة المنظمة فهي تقدم التربية المعنوية الروحية على التربية العقلية؛ ولهذا تهتم بالآداب والقيم والروحيات التي تتمثل في

العلوم الانسانية أكثر من اهتمامها بالعلوم التجريبية العملية(منى عوض أسباق محمد، 2016، ص49).

5- أهداف التربية المثالية: تتمثل الأهداف فيما يلي:(النل وائل عبد الرحمان وشعراوي أحمد محمد، 2007، ص127)

- إن التربية هي عملية الوصول إلى إدراك الحقيقة المطلقة عن طريق شحذ العقل.
- إعداد المواطن إعدادا سليما يكفل أن يتحلى بفضيلة الاعتدال والشجاعة.
- إنها تهدف إلى إحاطة الطفل بالمثل العليا الصالحة، وغرس فكرة الخير والشر في ذهنه، حتى يشب على ما يجب أن يحب، وكرهية ما يجب أن يكره.
- الاعتماد على التربية العقلية لكي تصل إلى فهم الحقيقة المطلقة، وليس في شكل نماذج تجريبية وتبعاً لذلك لا يكون التعليم تجديداً أو ابتكاراً.
- تهدف إلى التربية الفردية والجماعية، فالحياة الخلقية لا تتعارض فيها مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة.
- صقل الروح باعتبارها الجزء الأهم من كيان المتعلم.
- مساعدة المتعلم ككائن روحي في بلوغ غايته الرئيسية وهي معرفة ذاته أولاً ثم الوصول إلى الحقيقة.
- تدريب المتعلم على القيام بمسؤولياته الاجتماعية.
- تحقيق الحياة الصالحة في مجتمع منظم تنظيماً عالياً.



## 6- التطبيقات التربوية للفلسفة المثالية (منى عوض أسباق محمد، 2016، ص45):

- **المعلم:** المعلم في نظر المثالية ينبغي أن يكون فيلسوفا مفكرا كسقراط، وغيره من الفلاسفة، وقد ركزت المثالية على دور المعلم، وجعلته يحتل المركز الرئيسي في العملية التربوية، في حين نظرت إلى المتعلم نظرة سلبية، فالمعلم يجب أن يكون قدوة لتلاميذه بما يملكه من معارف وخبرات واسعة، تجعل الطلاب ينهلون منهله، بمعنى على المعلم أن يكون موسوعة يعمل على إيصالها إلى الطلبة، وأن يكون مخلصا جدا في عمله، والمعلم بفضائله وبصيرته يعمل على كشف استعدادات تلاميذه، وبذلك يعطيهم القدر المناسب من المعارف، وتقتصر عملية التعليم على التذكر والاسترجاع لذا يجب على المعلم في نظر أفلاطون تنمية هذه القدرة.

فالمعلم احتل مكانة عظمى في الفلسفة المثالية لذا يجب أن يكون المعلم:

- متصفا بالأخلاق الحميدة الصالحة.
- ذو تحصيل عالي ودراية علمية كافية لأنه الشارح لقوانين القوى العظمى.
- الناضج الحكيم ومكتشف المجهول.
- صاحب شخصية جذابة وقائدا أكاديميا متنوعا.
- قدوة للمثل الأعلى لكي تؤثر شخصيته في تلاميذه.
- في مكان الأب وله نفس القوة والمسؤولية
- مهمته التربوية توليد الأفكار والمعاني من العقل للتلاميذ، حيث أن المعاني فطرية كامنة في الإنسان وتحتاج إلى تنميتها.

- قدوة حسنة لتلاميذه من الناحية العقلية والخلقية على السواء.
- **المتعلم (التلميذ):** يرى المثاليون أن التلميذ كائن روحي هدفه في الحياة التعبير عن هذه الطبيعة الخاصة التي يتمتع بها، وأن المطلوب من التربية عدم النظر إليه باعتباره عقلا أو جهازا عصبيا لجمع المعلومات، لذا ترى الفلسفة المثالية أن يتصف التلميذ بما يلي:
  - أن يكون مطيعا ومتعاوننا وجديرا بالاحترام.
  - أن ينفذ الوصايا و الأوامر دون اعتراض.
  - يخضع كل التلاميذ لمقررات دراسية واحدة.
  - التلاميذ الضعاف يرهبون ويعيدون المواد نفسها التي رسبوا فيها.
  - العلاقة بين التلميذ والمعلم تتصف بالرسميات.
  - أن يتعلم احترام القيم الروحية وقيم الأفراد الآخرين.
  - دراسة البيئة المحلية التي يعيش فيها.
- **المناهج:** يرى المثاليون أن المنهاج (المنهج) الذي يدرس للتلاميذ ينبغي أن يكون موضوعات ثابتة غير قابلة للتطور وتنقل من جيل إلى جيل. حيث تعمل على توسيع فهم الطفل للكون وللإنسان نفسه، فتنظيم قدرات الطفل وتنمية ذكائه يمكن أن تتحقق من دراسة الفنون الحرة والقراءة، وكذا الاطلاع على الكتب العظيمة التي أنتجتها عقول الحكماء والمفكرين التي يمكن أن تخلق الإنسان المثالي وتوسع فهمه للكون ولذاته.

ومن ثم يجب أن يوجه اهتمام أكبر إلى دراسة مواد معينة كالتاريخ والأدب والفلسفة تهتم بالمشاكل الدائمة للإنسان، وتعبّر عن اعتقاداته وأفكاره على مر العصور التاريخية، وهي تعتبر كنزا للمعرفة والحكمة وتراثا معرفيا.

ولقد اهتمت المثالية بالمادة الدراسية أكثر من اهتمامها بالمتعلم، فهي لا تقيم وزنا إلا للمعرفة والحقيقة أما التلميذ فقد لا يكون له قيمة على الإطلاق، فمنهج المدرسة المثالية هو منهج مقفل يعتمد على المعرفة والكتاب ويتقيد بحدود لا يمكن تعديلها، حيث يبقى القديم على قدمه للحفاظ على المعرفة والتراث ونقله إلى عقول المتعلمين. ولا تؤمن المثالية بأهمية النشاطات الخارجة عن الكتاب في منهجها الدراسي لأن مثل هذه النشاطات لا تساهم في تدريب عقول التلاميذ وملئها بالحقائق، بل تهتم بجوانب أخرى ليست موضوع اهتمام المثالية.

وتهدف الفلسفة المثالية من استخدام المناهج التربوية تطوير الشعور السامي بالذات وتنمية الانفعالات وتنمية الاتجاهات الشخصية؛ لذلك كانت الفلسفة المثالية تركز في المناهج على ما يلي:

- اعتبار الأدب والعلوم الكلاسيكية والفلسفة عناصر رئيسية في المناهج.
- غاية المناهج تقديم الثقافة وعرض إرادة القوة العظمى دون اعتبار لما لا يساعد الإنسان على الترقى.
- تعارض المثالية بتدريس التلاميذ موضوعات دراسية لم تثبت صلاحيتها مسبقا.
- اختبار المواد الدراسية بعناية لتسهم في الحياة الصالحة.
- محور المناهج عند المثالية ثلاثية الفنون الحرة.
- الاهتمام بالرياضيات إذا كان هدفها تربية العقل.

- استخدام النشاطات الموافقة للمناهج مثل النوادي المدرسية والنشاطات اللاصفية.
- طرق التدريس أو أساليب التدريس: تداول المثاليون طرقا مختلفة في التدريس كالاتماد على الحوار وتوليد الأفكار أو أسلوب السؤال والجواب، وكانت طرق التدريس في الفلسفة المثالية تعتمد على:
- استخدام طريقة الإلقاء أو المحاضرة لنقل المعلومات الحقيقة وحشو أدمغة التلاميذ بالحقائق المطلقة.
- استخدام الحوار والمناقشة والاعتماد على النشاط العقلي من أجل مناقشة المشاكل التي تقابل التلاميذ والوصول إلى حل لها.
- التركيز على الحفظ وتقديم الأمثلة والنماذج، وعدم الاهتمام بالفروق الفردية.
- استخدام طريقة التحليل والتركيب من أجل حل المشكلات الصعبة لأنها بهذه الطريقة تجزأ إلى وحدات صغيرة.
- عدم دخول التلاميذ إلى موضوع المادة الدراسية من الناحية الموضوعية بل تدعوهم إلى أن يدخلوا إليه عن طريقة وجهات النظر الخاصة من أجل تمكين التلاميذ من النقد و الدفاع عن وجهات نظرهم.
- التقييم: يقيم التلميذ في الفلسفة المثالية بالامتحانات الرسمية كوسيلة لمقارنة إنجاز التلاميذ وفرزهم (الأكثر ذكاء من الأقل)، ويلتزم المثاليون ويلزمون أنفسهم بالمسؤولية للتفوق وتحقيق مقاييس أكاديمية عالية ويكون التقييم كما يلي:
- المعلم هو الذي يحكم على إنجاز التلاميذ وفق المقاييس المقننة التي تقرها جهات خارجية أو المعلم ذاته.

- وفي عدم حالة الاستجابة الجيدة (التربوية أو السلوكية) يعاقب التلاميذ باستخدام العقوبة لمن يسئ التصرف دراسيا وسلوكيا، وقد يكون استخدام العقاب البدني إذا لزم الأمر، وهناك اعتقاد عند المثاليين بأن الإصلاح يعتمد على درجة العقوبة.

7- بعض الانتقادات الموجهة للفلسفة المثالية: لقد غال أفلاطون في تربيته المثالية وطريقة التدريس إلى درجة يصعب تحقيقها على أرض الواقع، فمثلا تربية أفلاطون للأطفال على أساس الفضيلة حتى يصبحوا خيرين، تناسى أن في الإنسان بذرتين، بذرة الخير وبذرة الشر، ويستحيل أن نجد شخص خير محض، كما أن نظام الطبقات الذي فرضه أفلاطون على المجتمع فيه ظلم لفئة عن فئة.

كما فصل أفلاطون بين الجانب العقلي والجسمي، بل حتى أنه فصل الجانب العقلي وأعطاه الأهمية أكثر من اهتمامه بالجانب الجسمي، وكأننا نستطيع أن نتصور الإنسان بعقله دون جسده. ويمكن تجسيد أهم الانتقادات التي وجهت للتربية المثالية في النقاط التالية:

- إهمال الجوانب المهارية والأنشطة الإنسانية الأخرى، والتركيز على الجانب المعرفي.

- المبالغة في مدح التراث ووصفه بالثابت والإلزامي والتركيز على الجانب المعرفي.

- أعلنت من شأن الروح وأهملت أمر الجسد؛ ولذلك ركزت على المعلومات والمعارف وجعلت لها كيانا مستقلا بعيدا عن اهتمام الطالب وميوله مما أدى إلى انفصال التلميذ والمدرس عن البيئة الاجتماعية والمادية التي يعيش فيها كل منهما.

- أما النقد الموجه إلى المنهج المثالي فهو أن هذا المنهج مصمم من أجل صقل العقل وصفاء الروح ونقل التراث الثقافي، وتقدم المواد الدراسية بصورة منطقية مرتبة لكنها لا تدرس على أساس فهم العلاقات فالتاريخ مثلا يدرس بوصفه تاريخا؛ أي حسب التعاقب الزمني، لا على أساس أنه منهج مشكلات الحاضر وتوقعات المستقبل ولا يهتم أصحاب المنهج

المثالي بتعلم المهارات لاعتقادهم بأن هذا التعلم يفسد التلميذ ويتلف عقله ولذلك فالمثاليون يضعون المنهج الدراسي ثابتا مطلقا غير قابل للتغيير، وذلك إيمانا منهم بأن الطبيعة الإنسانية ثابتة لا تتغير.

- من الجدير بالذكر هنا أن فلسفة التربية المثالية تنظر إلى المعلم على أنه مصدر المعرفة الأول والأخير وهو المحور اذي تتوقف عليه العملية التربوية، أما الطالب فهو مجرد متلقي يحفظ ويستمع ثم يسمع ما حفظه وتكون مثالية هذا الطالب في مدى سكوته وصمته وأدبه؛ بمعنى أن الطالب هو الجانب السلبي الذي يتلقى فقط ولا يبدع، أما طرق التدريس في الفلسفة المثالية فكلها تكاد تنحصر في عملية الحفظ والتسميع فالمعلم هو الملحق والطالب يسمع ما حفظه دون مناقشة أو نقد له.

- استندت المثالية إلى حقائق مطلقة وأفكار أبدية استطاع العلم الحديث أن ينسفها ويضع بدلا عنها قواعد جديدة وحقائق جديدة.

- اقتصار الأهداف التربوية على تدريب عقل الإنسان دون النظر إلى الجوانب التي تتصل بالنواحي الجسمية.

- النظر إلى التلميذ على أنه سلبي يتلقى المعلومات التي يلقيها عليه المعلم (آلة) وكذا استخدام العقوبات البدنية لا يتفق مع ما تذهب إليه الفلسفات الأخرى، فالموقف التعليمي موقف تفاعل وليس موقف جامد ثابت فيه طرف ايجابي هو المعلم و آخر سلبي هو التلميذ. (العمامرة، محمد حسين، 2005، ص95).

**خلاصة:** وفي الاخير يمكن القول بأن الفلسفة المثالية تمثل رصيد معرفي هائل يتضمن تجربة فلسفية ومثابرات تربوية تركت أثر معرفي على كل من قرأ تاريخ الفلسفة والتربية، بل تركت صور الهيمنة التي فرضتها المثالية ومازالت تفرضها على دوائر التفكير الفلسفي مما جعل هذا الحال أن تجربة المثالية غنية بأشكال من الدروس والعبر وتحمل مثابرات إيجابية.

## قائمة المراجع:

- 1- محمد منير مرسي(1982)، فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها، عالم الكتب، القاهرة.
- 2- منى عوض أسباق محمد(2016)، تاريخ التربية والمدارس الفلسفية: رؤية عصرية لتربية الطفل العربي، دار المعرفة، الاسكندرية.
- 3- جعيني نعيم(2004)، الفلسفة وتطبيقاتها التربوية، دار وائل، عمان، الاردن،
- 4- شفشق محمود عبد الرزاق(1982)، الأصول الفلسفية للتربية، دار البحوث العلمية، الكويت.
- 5- العمارة محمد حسين(2005)، أصول التربية التاريخية والفلسفية والنفسية، ط4، دار المسيرة، عمان، الأردن.
- 6- عبد الكريم علي سعيد(2004)، فلسفة التربية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.
- 7- النل وائل عبد الرحمان وشعراوي أحمد محمد(2007)، أصول التربية الفلسفية والاجتماعية والنفسية، ط2، دار الحامد، عمان، الأردن.



## المحور الثاني: الفلسفة الواقعية

**تمهيد:** تعتبر الواقعية رد فعل للحركة الإنسانية، فقد انتقدت الواقعية التربية الإنسانية بأنها تربية ذات منظور ضيق محدود المدى، تربية تهتم بدراسات الآداب الكلاسيكية والاعتماد على الألفاظ الجوفاء تتلاعب بتقنيات الأساليب البلاغية، ولكن في خلاصتها لا تعطي الاهتمام بالأمر الواقعية في حياة الإنسان، فهي تربية تهتم بحفظ واستظهار المعرفة دون الاهتمام بالفهم المتصل بالواقع المعاش، جاءت الفلسفة الواقعية بفكر تربوي يضع في رحابه الكثير من الفروع المعرفية المهمة بدراسة الواقع الطبيعي والإنساني.

وقد جاءت هذه الفلسفة لتناقض الفلسفة المثالية وتختلف معها اختلافاً جذرياً، فالفلسفة المثالية تنكر العالم المادي وترى أن عالم الحقيقة هو عالم المثل، أما الفلسفة الواقعية فتؤمن بالواقع المادي المحسوس، وأنه مصدر كل الحقائق، وترجع الواقعية في الفكر الفلسفي إلى الفيلسوف اليوناني أرسطو، الذي انطلق مخالفاً لمعلمه أفلاطون، وقد عدّ موقف أرسطو هذا معبراً عن الواقعية المعتدلة أو المنطقية، إلا أنها لم تظهر كمدرسة فكرية مستقلة حتى القرن التاسع عشر، وقد ساهم جون لوك بإعطائها دفعاً قوياً، حيث أضاف عدداً من المفاهيم لها. وتقوم فكرة الفلسفة الواقعية على أن مصدر كل الحقائق هو هذا العالم (عالم الواقع) أي عالم التجربة والخبرات اليومية. وقد ظهرت الواقعية متمثلة في عدة اتجاهات: من أهمها:

- الاتجاه الواقعي الكلاسيكي والذي يسمى بالاتجاه الواقعي الإنساني.

- الاتجاه الواقعي الحسي الذي يسمى بالاتجاه الواقعي العلمي.

وكان الواقعيون الإنسانيون يهدفون إلى التوصل لمعرفة الدوافع الإنسانية ونظم الحياة البشرية والحياة وارتباطها بالطبيعة، كما هدفت إلى السيطرة على جميع مرافق الحياة المحيطة

بالإنسان طبيعيا واجتماعيا وذلك عن طريق التعرف على تراث وحياة الأجداد والقدماء في نطاق أوسع.

أما "فرانسيس بيكون" فقد وجد في الطبيعة ومظاهرها المضامين الحقيقة للدراسة والبحث، فبدلا من الحقيقة التي توجد في صفحات الكتب بطرق غامضة، فإنه يمكن التعرف عليها من خلال قوانين وظواهر الطبيعة، ويعرف ذلك الاتجاه بالواقعية العلمية أو الحسية.

### 1- أهم رواد الفلسفة الواقعية:

- أرسطو(384-332 ق.م): ولد أرسطو عام 384 ق.م في مدينة ستاجيرا على حدود مقدونيا وكان والده نيقوماكس طبيبا وصديقا لألمنتيوس الثاني ملك مقدونيا. رحل إلى أثينا في السابعة عشرة من عمره ليتعلم في مدرسة أفلاطون، ثم دعاه فيليب المقدوني إلى بيال عاصمة مقدونيا ليكون أستاذا لابنه إسكندر. وبعد موت فيليب عاد أرسطو 335-305 ق.م إلى أثينا، واستأجر بعض المباني ناحية شمالها الشرقي ليمون مقار لمدرسته... وصنف أرسطو المعرفة إلى ثلاثة أنواع رئيسية: نظرية وعملية ومنتجة، وهي تقابل الفلسفة النظرية التي تتمثل في العلم الإلهي والرياضي والطبيعي؛ ويتميز العلم الطبيعي بوجود أزواج من العناصر الأربعة هي: الحرارة، والبرودة، والجفاف، والرطوبة. وتتغير المواد من شكل إلى آخر بتغيير امتزاج هذه العناصر، هذا وقد استمر استخدام آراء أرسطو عن المادة حتى ظهور علم الكيمياء الحديث في القرن السابع عشر(حسين عبد الحميد أحمد رشوان، ص33، 2010)

ويقر أرسطو أن الإنسان يتكون من عنصرين هما: الجسم والنفس، وهو يختلف تماما عن ما يعتقد أفلاطون بأن السبيل الوحيد لاكتشاف الحقائق والوصول إلى المعرفة هو التأمل العقلي، حيث يعتبر أن الطريقة العلمية أو الموضوعية هي الوسيلة الأنجع لذلك. أما بالنسبة لآراء أرسطو التربوية، فقد رأى أن التربية هي إعداد المواطن لحياة طيبة، وأن

هذه الحياة الطيبة لا يمكن الحصول عليها، إلا بخدمة الدولة التي تنمي القدرة على التمتع بملاذ الحياة، ورأى أيضا أن التربية ينبغي أن تكون واحدة لجميع أعضاء المجتمع، وعلى المشروعين أن يهيئوا هذا الأمر لكل المواطنين. وقد نادى أرسطو بضرورة العناية بالجسم قبل الوالدة وفي جميع مراحل عمر الإنسان اللاحقة، وآمن أيضا بأهمية تدريب المتعلم من حيث ربط النظرية بتربية عملية (عمر أحمد همشري، 2007، ص 84).

- فرنسيس بيكون (1561م): ولد "بيكون" بلندن في أسرة تتمتع بمستوى اجتماعي ومادى مرتفع، فكان أبوة السير نيقولاس بيكون حامل أختام الملكة وأمه ابنة السير أنتوني كوك الذي كان مربيا للملك إدوارد السادس وتلقي بيكون تعليمه في طفولته على أيدي مربين خاصين ثم التحق بكلية ترينتي في كامبردج، وفي عمر الثالثة والعشرين أنتخب عضوا في البرلمان، وتقرب من الملكة، وبدأ أسمه يلمع كمتكلم وكاتب.

ويرجع الفضل إلى بيكون في قدرته على عرض القضايا بأساليب علمية بليغة مؤثرة ومنظمة، فكان يجيد عرض الأفكار مما يسهل عملية استيعاب الناس لها، والافتتاح بها، كما أدرك أن الناس في عصره تسيطر عليهم الأفكار وطرق التفكير الخرافية والتقاليد البالية، وأن الناس اعتمدوا بطرق مبالغ فيها على فلسفة أرسطو والكتب الكلاسيكية والتلاعب باستخدام الألفاظ أن العلاج الحقيقي يأتي في استخدام الأسلوب العلمي والمعالجة الموضوعية للقضايا، لذلك نادى بيكون بأهمية الطريقة الاستقرائية أو العلمية في الحصول على المعرفة بأسلوب دقيق، مع التأكيد على أهمية الملاحظة الدقيقة للظاهرة موضع الدراسة وجمع المعلومات عنها، وأن الوصول إلى التعميمات والمبادئ يأتي من خلال تجميع المعلومات الجزئية عن الظاهرة ثم إيضاح الجوانب المشتركة، بمعنى بيان أوجه الشبه بين حقائق المعارف التي تم الحصول عليها بطريقة جزئية، ثم إجراء عملية التجريد للحصول على المفهوم العام.

وامتدح بيكون العلوم النافعة ذات القيمة العلمية وأهمية تسخير العلم وتطبيقاته لصالح

الإنسان، ونظر إلى الفلسفات القديمة وكأنها تماثيل قديمة ثابتة لا تقبل الحركة والتغيير، وقد أعتقد ببيكون في أهمية المعارف المتصلة بالطبيعة وقوانينها، لذلك في التعليم المدرسي ينبغي أن تهتم مناهجه بالعلوم الطبيعية، والتركيز على استخدام المنهج التجريبي القائم على الملاحظة والتجريب وجمع المعارف بطرق موضوعية ومشاهدة النتائج بطرق حسية ملموسة.

ويرى ببيكون في أهمية العمل الكثير والكلام القليل، وأن فلاسفة الإغريق أضاعوا كثيرا من الوقت في ألوان من الكلام النظري غير النافع، ولا بد للعقل البشري من التخلص من عوائق البحث العلمي وهي التي تعمل عمل الأصنام أو الأوهام العفائية التي تجعل الإنسان ينحرف بسخافة عن الطريق السليم الذي يؤدي إلى تقدمه ومنفعته العلمية، وقد عبر ذلك في كتابة القانون الجديد، وفيه قسم ببيكون الأوهام إلى:

- أوهام القبيلة (أوهام الجنس): وهي الأوهام التي تصور الأشياء على أنها صور أو أفكار بدون دليل عليها يعتمد على الملاحظة والتجربة والمشاهدة.
  - أوهام الكهف: وهي تتعلق بانحصار كل فرد في كهف (أو مجال) من كهوف (أو مجالات) الوراثة أو النشأة أو علل الفطرة، وأوهام الكهف تتعلق بميول الأفراد الشخصية.
  - أوهام السوق: وهي من أخطر أنواع الأوهام، وتنتج عن التقاليد والعادات وعلاقات الإنسان الاجتماعية، وما يتصل بها من سلبيات تؤثر على حياة الناس.
  - أوهام المسرح: وهي الأوهام الفكرية التي وصلت إلى عقول الناس من آراء وتأملات الفلاسفة، وما نتج عن شيوع لأفكارهم وأخطائهم في القياس وإصدار الأحكام.
- وهكذا نجد تأكيد "بيكون" لحقائق العلوم الطبيعية وضرورة الاعتماد على الأسلوب الاستقرائي القائم على الملاحظة الموضوعية الدقيقة والتجريب والمشاهدة، وضرورة تأكيد محتويات المناهج المدرسية وطرائق التدريس على الأساليب العلمية العقلانية والابتعاد عن دراسة القضايا الوهمية والأساليب الخرافية في التفكير القائمة على الغيبيات وعدم الموضوعية.

- **كومينوس**: هو اسقف بروتستانتي من مورافيا من رواد الفلسفة الواقعية الحسية والدينية، وعاش حياة شهد فيها ألوانا من القسوة والاضطهاد لذلك نادى بأهمية العدالة الاجتماعية وتحسين حياة الناس، وقد تأثر كومينوس بآراء بيكون، ولكنه أحب أن يدمجها في قالب ديني، وقد نشر كومينوس عددا من الكتابات التربوية التي ترجمت إلى لغات عديدة ونال منها شهرة عالية.

وأيد "كومينوس" كثير من المبادئ التربوية التي أكدها الإنسانيون، وأكد دور التربية في أعداد الإنسان لدورة البارز في العالم الطبيعي، ويقول في كتابه "المرشد العظيم" أن الإنسان وضع بين الكائنات الحية المرئية ليكون كائنا عاقلا وسيدا لكل الكائنات، وفي هذه المظاهر الثلاث أساس الحياة الحاضرة المستقبلية وعلى هذه المبادئ قامت أفكاره التربوية، فلكي يقوم الإنسان بدورة العاقل في هذا الكون يجب عليه أن يلم بالمعرفة ولكي يسيطر على الكائنات لابد وان توهب له القوة التي يسيطر بها على ذاته وعلى الأشياء، ولكي يعد لرسالته الدينية يجب أن يتعلم كيف يعتمد على نفسه في كل شيء وعلى الله لأنه مصدر كل شيء فالتربية تهدف إلى المعرفة والفضيلة والتقوي، وحتى تتحقق هذه الأهداف، يرى كومينوس اتباع آراء بيكون حول الرأي القائل بأن الإنسان لابد وأن يلم بالمعارف والدراسات التجريبية العلمية التي تجعله قادرا على السيطرة على الطبيعة متحكما فيها لصالحه ويضيف كومينوس مفهومة عن طبيعة الإنسان الظاهرة التي كانت نقطة البداية قبل قيامه بالخطيئة الأولى التي كانت سببا في سقوطه ومتاعبه وشروره.

وحول طبيعة الإنسان يرى أن الأنشطة البشرية تختلف من فرد لآخر فكل فرد يتغذى ويحس ويفهم بطريقته وسرعته الخاصة، وقد تأثر كومينوس ببعض الآراء الإغريقية الرومانية، فهو يرى أن الناس مضبوطون أو تتحكم فيه ثلاث نفوس أساسية النباتية والحيوانية والعاقل، والنباتية تغذى الإنسان وتعمل على نموه، والحيوانية تجعل الإنسان يدرك الأشياء في عالم الطبيعة بحواسه، والعاقل تهدي الإنسان إلى معرفة الحقائق والتصرف في مواقف الحياة

المختلفة، والنفس العاقلة قوامها العقل والإرادة والعاطفة، فالعقل يميز ويعرف، والإرادة قوة دافعة للعمل والعاطفة توجه مشاعر الرغبة والاختبار، وفي الإنسان الكامل نجد انسجاما واتساقا بين هذه القوى الثلاث.

ونادى "كومينوس" بأهمية التأكد على التعلم من خلال الحواس وتعلم الأشياء لا الكلمات والألفاظ، والانتقال التدريجي بالطفل المتعلم من المعارف البسيطة السهلة إلى المركبة الصعبة، ومن الأشياء المعروفة إلى المجهولة، وضرورة تنظيم المادة الدراسية بطريقة تتلاءم مع سن التلميذ وميوله وقدراته، ويرى كومينوس أنه خلال السنوات الست الأولى تنمو حواس الطفل، وعن طريقها يدرك بيئته المحيطة، ويطلق على هذه المرحلة التي فيها تعلم الأم طفلها كيف يتكلم ويلاحظ الطبيعة بمرحلة المدرسة الأم.

وأوضح كومينوس أن الطفل من سن (6 - 12) سنة يمكن أن يتعلم في المدرسة الابتدائية والتي تعرف باسم "مدرسة اللغة القومية" وهي عامة لجميع الأطفال، تقوم بتعليم القراءة والكتابة باللغة القومية للطفل، مع تعليم مبادئ الحساب والرسم والغناء والتاريخ والجغرافيا والدين، وقد قام بتأليف مجموعة كتب باللغة التشيكية، خاصة لتلاميذ هذه المدارس.

أما المدرسة اللاتينية وهي تقوم بتعليم التلاميذ من سن (12 - 18) سنة اللغات اللاتينية والإغريقية والعبرية ولغة التلاميذ القومية، بالإضافة إلى الفنون العقلية الحرة، وبعض الدراسات التي تؤهلهم للالتحاق بالجامعات.

والدراسة الجامعية تتناول الطلاب من سن (18 - 24) سنة حيث تنبثق الإرادة، وتأتي ضرورة تدريب الطلاب على البحث والاهتمام بالتخصص المعرفي الدقيق والإعداد المهني كالطب والقانون، وعلى الطالب أن يدرس مواد متنوعة كثيرة تزيد من فهمه عن الحقائق العامة عن الطبيعة والإنسان والله.

ونادى كومينوس بنظام تعليمي موحد إجباري يضم كل الأطفال من سن (6 - 12) سنة ومن الجنسين، ويدرسون فيه منهاجا موحدا، وإزالة الثنائية التعليمية التي كانت قائمة في

عهدده بين نظام تعليم المدارس الأولية التي تعلم اللغات المحلية لعامة الشعب، وهي تمثل نظام تعليمي حقير المستوى، وبين نظام المدارس الثانوية الكلاسيكية ذات المصروفات الباهظة، والخاصة بأبناء الطبقة الأرستقراطية والأغنياء ونادى بتوجيه الطلاب إلى التعليم الجامعي على أساس قدراتهم استعداداتهم ليس على الجنس أو المكانة الاجتماعية.

وفي هذا المقام تعبر آراء كومينوس عن صيحة ديمقراطية في التعليم تتادى بتكافؤ الفرص التعليمية لجميع فئات أبناء المجتمع بحيث يكون تعليم المرحلة الأولى موحدًا إلزاميًا ومجانياً لجميع أبناء المجتمع وأيضاً المساواة بين البنين والبنات في الحقوق التعليمية، وقد كانت هذه الأفكار سابقة لعهددها، واستمرت كإمانة لبضعة قرون حتى بدأت تتحقق على المستوى الفعلي في أوروبا وأمريكا ودول العالم المختلفة.

وحول العملية التعليمية يرى كومينوس أنه من الممكن تبسيط العملية التعليمية إذا ما أتبع الأسلوب الموضوعي والطبيعي في تربية الأطفال والذي يتضمن عناصر منها ضرورة بدء العملية التعليمية في سن مبكر قبل أن يفسد العقل بأمور أخرى، ولا بد من تهيئة العقل للاستعداد لها، وأن تقدم المعارف للأطفال مرتبة بطريقة منطقية وتبدأ من المعارف السهلة إلى الصعبة على مدارك الأطفال، ومن المعارف العامة إلى الخاصة، ومن المعارف القريبة في حياة التلاميذ إلى البعيدة عنهم، ومن المعارف المحسوسة إلى المجردة، كما ينبغي عدم تكديس المناهج المدرسية بالمواد الكثيرة التي ترهق التلميذ ويجب أن يساير المعارف عقلية المتعلم وقدراته، ثم تأتي ضرورة تعلم التلميذ الأشياء عن طريق حواسه وضرورة إدراكه لأهمية ما يتعلمه في حياته، أي الاهتمام بالمعرفة الوظيفية، كما يجب عدم تشتيت انتباه المتعلم في أمور متعددة، والاهتمام بإعداد الكتب المدرسية، ويعتبر كومينوس مؤسس حركة الاهتمام بالكتب المدرسية.

ونادى كومينوس بأهمية أصول التدريس، وتأثرت طرق التربية الحديثة بأفكاره وأوصى بأن كل ما يعلم للأطفال يجب أن يكون ذو فائدة عملية وقيمة في الحياة اليومية، وأن تبرز هذه

الأهمية عند تدريس الموضوع، ويجب أن يعتمد التدريس بتقديم الأفكار أو الأشياء بطريقة مباشرة إلى التلاميذ وليس مجرد رموز أو نماذج للأشياء لا تعبر عن حقائق الأمور، وكل ما يعلم للتلاميذ يجب أن يقدم بطريقة مستقيمة بدون اعوجاج ولا تعقيد، وان يشار إلى طبيعته الحقيقية وأصله، ودراسة الموضوعات يجب أن تقدم للتلاميذ مرتبه بصورة منطقية مبسطة تساعد التلاميذ على تفهمها بما يناسب أعمارهم وقدراتهم ، مع تأكيد مبدأ الفروق الفردية بين التلاميذ، وعند التدريس يجب تقديم موضوع واحد فقط، ولا يتم الانتقال إلى موضوع آخر إلا بعد لتأكد من فهم الموضوع المقدم.

وحقيقة لقد اجتهد كومينوس أن يقدم طريقة تربوية علمية مع الاحتفاظ بالأهداف الدينية، ولقد تأثر كثير من المربين فيما بعد بكثير من آرائه، فقام بستالوتزي بتطوير طرق الملاحظة وطورها إلى خدمة التربية بصورة فعالة، وأستفاد باسيديو في فكرة استخدام المحسوسات في التدريس وأقام مدرسة تجريبية للتعرف على أهمية ذلك، كما قام جان جاك بروسو بتقديم عرض مفصل عن أهمية الطبيعة في تعليم "أميل" وامتدت حلقة التأثير إلى الفلسفة البرجمانية التي تأثرت ببعض آراء كومينوس بعد تطويرها.

- **جان جاك روسو (1632-1704م):** فيلسوف إنجليزي ولد في رنجتون في ضواحي مدينة بريستول، تابع دروسه في أكسفورد، ليصبح بعدها أستاذا بها كأستاذ لليونانية والخطابة والفلسفة اشتغل بعدها في السياسة، من أهم أعماله الفلسفية كتابه "محاولة على العقل الإنساني" ويعتبر لوك أبرز مربي الواقعية الحسية وقد نشر عام 1693م كتابه المعروف "بعض أفكار عن التربية"؛ ونرى في هذا الكتاب أن لوك يضع نظاما تربويا رسميا يؤكد على أهمية الضبط الذاتي، ويوضح واجبات التربية التي يجب ألا تتحصر بعملية تلقين المعلومات تلقينا ميكانيكيا بل يجب أن تهتم ببناء الإنسان ذي السلوك القويم والشخصية السليمة، كما يرى لوك، أن من واجبات التربية تطوير الحالة العقلية والجسمية عند الفرد. ويمكن القول عموما أن لوك قد شن حملة شديدة على عقلية المدرسين، وثار على التعليم



الديني المستند إلى مقولة أن الأفكار فطرية وسابقة للوجود، وقد عد لوك الإحساس والخبرة المصدر الوحيد للمعرفة الحقيقية. وقد عارض عدد من علماء النفس لوك بسبب اعتباره عقل الطفل لوحة فارغة متلقية فقط، ويؤكد هؤلاء العلماء أن العقل البشري قوة فاعلة إيجابية وليست سلبية فقط، فهي تكتسب المعرفة بالتفاعل والمعالجة القائمة على الإدراك أثناء تعامله مع البيئة الخارجية سوء الطبيعية منها أو الاجتماعية (بشار مالك سليمان، 2015، ص71).

وقد أولى التربية الخلقية عناية فائقة، وجعل من الفضيلة هدفها الأسمى، ورأى أن تحقيق هذه الغاية لا يتم باستعمال العقوبات الجسدية، إنما بتتمية الشعور بالكرامة، وربط بين التربية الخلقية والتربية الجسدية، إذ جعل من الثانية أساساً للأولى، وذلك لاعتقاده كمونتانيه أيضاً، أن الخلق القويم لا يكون إلا في الجسم السليم (أنطوان الخوري، 1969، ص82).

**2- مبادئ الفلسفة الواقعية:** يمكن عرض أهم الأسس والمبادئ الرئيسة التي يلتقي عندها التفلسف الواقعي (ناصر إبراهيم، 2001، ص71).

- قوى الإنسان هي جزء من قوانين الطبيعة وعلى التربية أن تسعى لاكتشاف هذه القوانين الطبيعية للإنسان والتي تتحكم في تعليمه وسلوكياته، وذلك حتى تكون تربيته على أسس سليمة، ويجب أن تسير التربية مراحل النمو الطبيعي للطفل، وأن تتماشى مع مداركه وقدراته وميوله ويجب أن يصاغ النظام التعليمي ومناهجه الدراسية على هذه الأسس.

- أن العالم الطبيعي المادي (الحقيقي) له وجود مستقل عن الفكر: فالعالم الطبيعي أساسه مادي ووجوده حقيقي وهو قائم بذاته، ومستقل عن العقل أو الفكر، وما العقل إلا محصلة التجارب والخبرات الحسية المستمدة من عالم المادة.

- التكافل بين الحواس والعقل: حيث ترى الواقعية أن الحواس باعتبارها أدوات للعقل، تنتقل وقائع العالم الخارجي وصورته إلى عقل الإنسان، فيدرك العالم ويتفاعل مع بيئته، ويرى الواقعيون أنه يمكن التغلب على خداع الحواس وقصورها بإخضاعها لسيطرة العقل وإحكامه والاستعانة بالمنهج العلمي.

- المزج بين الجسم والعقل: يتفق الواقعيون أن الإنسان أحد أفراد النوع الحيواني، وأنه جزء من هذا العالم وخاضع لقوانينه وأنه يتكون من عقل وجسم متحدين.
- المعرفة عملية استكشاف العالم المادي: الحقيقة سابقة في الوجود للإنسان، وعلى الإنسان السعي وراء المعرفة واكتشاف القوانين والمبادئ الموجودة في العالم لذا ينكر الواقعيون وجود أفكار فطرية في الإنسان؛ أي أنه يولد وعقله صفحة بيضاء، ومصدر المعرفة هي حقائق ومفاهيم قائمة بذاتها ومستقلة عن العقل وأن العقل يكتشفها ويكتسبها نتيجة لمروره بالخبرات.
- التغيير صفة هذا العالم إلا أن الحقائق ثابتة: ترى الواقعية أن الطبيعة وعناصرها نامية ومتغيرة، إلا أن هذا التغيير نسبي كون العالم خاضع لقوانين ليس للإنسان إلا سلطة قليلة عليه.
- معيارية القيم الاجتماعية: تؤمن الواقعية بأن الحسن ما استحسنه المجتمع، والقبيح هو ما يراه قبيحاً، أي إن القيم معيارها المجتمع فالقيم في الواقعية متغيرة (علي أحمد مذكور، 2014، ص119)
- 3- مفهوم التربية الواقعية:** تمثل الواقعية فلسفة جديدة ومقابلة للمثالية، فقد جاءت كرد فعل للآراء التي قدمتها الفلسفة المثالية، فبعد أن كانت المثالية ترى أن العقل هو مصدر المعرفة وترسم صورة مثالية ونموذجية لعناصر المؤسسة التربوية. ظهرت الفلسفة الواقعية لتبين أن العقل لا يعد مخزناً للحقائق بذاته، وإنما هي موجودة خارج الذهن وعلى الإنسان أن يحصلها بنفسه، كما شددت على ضرورة أن يكون التعامل في المؤسسة التربوية واقعياً وليس مثالياً.
- ويرى الواقعيون في التربية أن تكون الدراسة في المدرسة وما يكملها من نشاطات وخبرات، وكسب مهارات شديدة الصلة بالمجتمع الخارجي الذي يعيش فيه التلاميذ، حتى لا يكون هناك انتقال مفاجئ للتلاميذ من مدرستهم إلى مجتمع حياتهم العامة. أما التربية التقليدية

التي تعتمد إلى اختزال المعلومات وحفظ المقررات وتجاهل النشاطات والمهارات فهي في نظرهم لا تعد تربية بالمعنى الصحيح

#### 4- أهم المبادئ العامة لفلسفة التربية الواقعية:

- لا تؤمن بوجود قوى فطرية موروثية قبل الولادة، بل تؤكد على أن الإنسان محكوم بتأثير البيئة الطبيعية والاجتماعية على الوراثة.

- تؤمن الواقعية بأن الفرد هو أساس الكيان الاجتماعي، فإن الحرية الفردية لا تتحقق إلا في حالة تمتع الفرد بجميع الامتيازات والحقوق الخاصة وهذا لا يكون إلا في حالة تقليص سلطة الحكومة على الأفراد.

- التربية عملية تدريب للإنسان على العيش بواسطة معايير خلقية مطلقة على أساس ما هو صحيح للإنسان بوجه عام.

- أهمية التعليم المعرفي، وأهمية الخبرات الحسية في الحصول على المعرفة واعتبار الحس أساس المعرفة، فالعقل عنده صفحة بيضاء يستمد خبراته من مصادر البيئة الخارجية، التدريب الشكلي لتدريب للملكات العقلية، وذلك باعتبار العقل مقسما إلى ملكات معينة كالذاكرة والتفكير والانتباه والملاحظة، هذا المفهوم الخاص بتقسيم العقل إلى ملكات، كان هو المفهوم السائد في نظريات علم النفس الشائعة في ذلك الحين، ولا تهدف التربية العقلية أن يحقق المتعلم كمالا في علم من العلوم المعرفية المختلفة، ولكن الهدف تنوير عقل المتعلم في مختلف فروع المعرفة، ولكي يفكر الفرد تفكيراً سليماً، يجب عليه أن يدرّب عقله على ملاحظة وإدراك العلاقات بين الأفكار، والرياضيات تفيد كثيراً في تدريب العقل على عمليات الإدراك والملاحظة العلمية الدقيقة.

- يجب أن تهدف التربية إلى تمكين الإنسان من السيطرة على البيئة الطبيعية، وبالتالي فإن دراسة العلوم الطبيعية والطريقة العلمية التي تعتمد على الملاحظة والتجريب والمشاهدة ضرورية من أجل مساعدة المتعلم على فهم بيئته، وواقعه الطبيعي المعاش، ويجب أن

يخصص لها الوقت الملائم من الجدول المدرسي، وأيضاً تأتي أهمية الاهتمام بالدروس العلمية والتطبيقية.

- إن من أهم الأهداف التي تؤكدتها هذه الفلسفة التربوية الجسمية وتدريب الحواس والاهتمام بالعلوم الطبيعية والتجريب وتشجيع المدارس العلمية والمهنية بالأنشطة والممارسات داخل المؤسسات التعليمية والاهتمام بالفروق الفردية.

- تؤكد الواقعية على ضرورة أن تكون المادة الدراسية هي المحور المركزي في التربية وأن تسمح للمادة الدراسية للطلاب بالوقوف على البنيان الفيزيائي والثقافي للعالم الذي يعيش فيه، وأن يكون محتوى المناهج يشمل العلوم الطبيعية بفروعها المختلفة من حيث المادة العلمية وأسلوبها في البحث.

- أن تكون طريقة التدريس ملائمة لشخصية المتعلم وإعداده للحياة وتؤدي إلى تكامل شخصيته.

- تسعى الواقعية إلى جعل الطالب شخصاً متسامحاً ومتوافقاً توافقاً حسناً وأن يكون منسجماً عقلياً وجسماً مع البيئة المادية والثقافية.

- تتأكد التربية الخلقية والدينية على أساس الفكر الواقعي ( كلاسيكي أو حسي) وتختلف النظرة حول التربية الخلقية والدينية تبعا لرؤية كل مفكر لها، ولكن بصفة عامة يرى الفيلسوف الواقعي الديني أن ترتيب وانسجام الكون يجب أن ينظر إليها كنتيجة للخلق الإلهي، وينبغي دراسة الطبيعة على أساس أنها من صنع الله عز وجل، وأن الهدف الأساسي من التربية هو إعداد الإنسان للحياة الخيرة في الدنيا والحياة السعيدة في الآخرة، ولكن هذا لا يمنع وجود فئة من الواقعيين رفضت فكرة الروح وفكرة الخالق على أساس عدم القدرة على إخضاع هذه الأمور للموضوعية التجريبية والظواهر الحسية ويكتفون بأهمية اختيار مجموعة من القيم التي أثبتت تاريخ الإنسان أهميتها، لذلك ينبغي العمل على ثبات هذه القيم وهي بمثابة معايير أخلاقية يجب أن نعلمها للأطفال.

- أن التربية بيد المعلم بوصفه ناقلاً للتراث الثقافي والمعلم هو الذي يحدد المعرفة في العملية التربوية فدور المعلم مساعدة الطلبة للوصول إلى الحقائق (ناصر إبراهيم، 2001، ص50).

#### 5- التطبيقات التربوية للفلسفة الواقعية:

- **التلميذ:** تهدف التربية عند الواقعيين إلى إتاحة الفرصة للتلميذ، لأن يغدو شخصاً متوازناً فكرياً وأن يكون في الوقت نفسه جيد التوافق مع بيئته المادية والاجتماعية. وتهدف التربية إلى تنمية الجوانب العقلية والبدنية والنفسية والأخلاقية والاجتماعية في آن واحد.

- **المنهج الدراسي:** رفض الواقعيون المنهج الدراسي المعقد الذي يميل إلى المعرفة المستمدة من الكتب، ويؤكدون المنهج الذي يركز على وقائع الحياة، وأهمية الموضوعات التي تقع في نطاق العلوم الطبيعية، كما تؤكد الواقعية على ضرورة أن تكون المادة الدراسية هي المحور المركزي في التربية وأن تسمح المادة الدراسية للطلاب بالوقوف على البنين الفيزيائي والثقافي الأساسي للعالم الذي نعيش فيه.

- **المعلم:** ترى الفلسفة الواقعية أن مفتاح التربية بيد المعلم باعتباره ناقلاً للتراث الثقافي وعليه يجب أن يكون متعاوناً مع تلاميذه ويقدم لهم المساعدة ويعلمهم الاعتماد على النفس، ويعرض المعلم المنهج العلمي بطريقة موضوعية بعيداً عن ذاتيته لكنه مندمجاً معه، وأن تسوده الواقعية. (الدخيل، محمد عبد الرحمن، 1424هـ، ص189)

ويجب على المعلم أن ينقل إلى التلاميذ معارف مفيدة تساعدهم على فهم العالم الواقعي، كما يجب على المدرسة أن تعطي الأولوية لصقل العقل طالما أن الإنسان كائن عقلي، وهنا يأتي التأكيد على التدريب العقلي، ويجب أن تحتل العلوم الطبيعية مكانتها الهامة في المناهج المدرسية، وكل ما يدرس ينبغي أن توضح أهميته في الواقع العملي لحياة التلميذ، والتربية يجب أن تهدف إلى إثراء المعرفة وتنميتها من أجل تقدم حياة البشر؛ ولذلك ينبغي الاهتمام بالاكشاف والتجريب في الأنشطة التربوية المدرسية.

- طرق التدريس: تعتمد طرق التدريس في الفلسفة الواقعية على النظرة الترابطية فيقوم المعلم بتقسيم موضوع درسه إلى عناصره الأساسية وتحديد المثيرات والاستجابات فكل مثير استجابة معينة؛ ومن ثم تقدم للمتعلمين بطريقة تجعلهم يستجيبون الاستجابة الصحيحة للمثير المحدد ويكرر أحداث المثير لكي تتبعه الاستجابة الصحيحة، ويكافأ المتعلم كلما قام بالاستجابة الصحيحة مما يؤدي إلى تقوية الرابطة التي تؤدي إلى التعلم. كما أنها تنطلق من تعلم الأجزاء حتى يتم تعلم الكل متفقة مع النظرية التجزيئية للمدرسة السلوكية وتفضل استخدام آلات التعليم (التعليم المبرمج) (الدخيل، محمد عبد الرحمن، 1424هـ، ص200)

- تعد الظواهر الطبيعية أهم مادة للدراسة، وينبغي أن ينظر إلى الطبيعة على أنها كتاب مفتوح صادق ومنه نتعلم من أجل الاستفادة العلمي ومعرفة قوانينها، وبغرض السيطرة عليها وفهمها لصالح الإنسان ورقيه، ويدعو رجال الاجتماع من مؤيدي الاتجاه الواقعي إلى دراسة الإنسان على الطبيعة دراسة مباشرة، وذلك عن طريق التجوال حول العالم والاتصال به في كل مكان من خلال دراسة حياته وحياة الجماعات في واقعها، وفي ضوء ذلك لا ينبغي أن يقتصر التعليم على دراسة الكتب وحدها بل لابد من الدراسات الواقعية والميدانية والتجريبية.

- ينبغي الاهتمام بالتعليم عن طريق أساليب اللعب والنشاط والعمل والتدريبات العملية، فالحواس مصادر ضرورية للحصول على المعرفة، ويجب أن تعمل التربية على تدريب حواس الطفل وزيادة حساسيتها لإدراك وملاحظة الظواهر الطبيعية والبيئية والعمل على دراستها وتسجيلها بدقة.

- المادة الدراسية في جوهرها وصفية ومنطقية التنظيم، وأن التعليم يكشف عن هذه الحقيقة ويهدف إليها، ولذا فإن المدرسين ينبغي أن ينظموا دروسهم ومناهجهم تنظيماً منطقياً ووصفياً حتى يطابقوا حقيقة تنظيم المادة الدراسية، والتي ينبغي أن تتصل بالواقع أو تطبق في الواقع لاستفادة منها، والاتجاه الواقعي الكلاسيكي والحسي أقر أهمية دراسة اللغات القومية واعتبارها لغة تعليم على مستوى المحلي، ولكنه أقر أهمية دراسة اللغات اللاتينية

واليونانية وغيرها من اللغات باعتبارها لغات أصلية في البحث العلمي وأساسية للحصول على المعارف الهامة.

#### 6- بعض الانتقادات الموجهة إلى الفلسفة الواقعية:

- لم تهتم التربية الواقعية بالتلميذ وميوله ورغباته، اعتقاداً منها أن الرغبات والميول ما هي إلا أمور أو نزعات طارئة وعارضة وهي أشياء متغيرة؛ لكن الحقائق والأساسيات العملية التي يحتويها المنهج هي أمور جوهرية لأنها ثابتة غير متغيرة.
- اعتمدت الثنائية إذ قسمت العالم على مادة وصورة، وأكدت على الجانب المادي أكثر من الجانب الروحي، وهدفت الواقعية إلى التكيف مع البيئة المادية أكثر من البيئة الروحية.
- إن هناك من الحقائق ما لا يمكن للعقل أن يصل إليها عن طريق أدواته المعروفة وبهذا يكون العقل قاصراً في تفسيرها (صالح هاني عبد الرحمن، 1967، ص92)

## قائمة المراجع:

- 1- حسين عبد الحميد أحمد رشوان(2010)، التربية والمجتمع -دراسة في علم اجتماع التربية-، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
- 2- عمر أحمد همشري(2007)، مدخل إلى التربية، دار الصفا للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- 3- بشار مالك سليمان(2015)، فلسفة جون لوك وأبعادها التربوية، رسالة ماجستير في أصول التربية، كلية التربية، جامعة دمشق، سوريا.
- 4- أنطوان خوري(1964)، أعلام التربية-حياتهم، آثارهم، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- 5- ابراهيم ناصر(2001)، فلسفات التربية، دار وائل، عمان، الأردن.
- 6- مدكور علي أحمد(2014)، فلسفة التربية-أصولها وتطبيقاتها-، مكتبة ناشرون، بيروت.
- 7- الدخيل محمد عبد الرحمن، وعبد الهادي، نبيل أحمد(1424هـ)، مدخل إلى أصول التربية العامة، دار الخريجي، الرياض.
- 8- صالح، هاني عبد الرحمن(1967م)، فلسفة التربية، عمان، الأردن.



### المحور الرابع: الفلسفة البرجماتية (النفعية)

**تمهيد:** تعتبر البرجماتية فلسفة علمية، وهي تقع في منتصف الطريق بين المثالية والواقعية، فهي ترفض النزعة الأكاديمية المطلقة للمثالية، كما تنتقد التفسيرات غير الشخصية أو الذاتية التي يقدمها المذهب الطبيعي، وتركز البرجماتية اهتمامها على الجانب المعرفي بصفة رئيسية، ولها أيضا بعض الاهتمام بالقيم والسيكولوجيا، ولكن يقل اهتمامها بالجانب الانطولوجي، لأن البرجماتية ترفض اعتبار الميتافيزيقا من المباحث التي تدخل ميدان الفلسفة. ويعتبر البراجماتيون أن الواقع يتحدد بخبرات الفرد الحسية، ولا يستطيع أن يعرف الإنسان شيئا خارج نطاق خبرته؛ أي أن معرفته محدودة بنطاق خبرته، ومن ثم فإن المسائل المتعلقة بالطبيعة النهائية أو المطلقة للإنسان والكون لا يمكن حلها أو الإجابة عنها ببساطة، لأنها تسمو فوق خبرة الفرد (منير مرسى، 1995، ص-ص، 187-188)

ويرجع الفضل في تدعيم هذه الفلسفة وإرساء مبادئها، لكل من الفلاسفة والمربين الأمريكان، والمتمثلين في: " تشارلز بيرس ووليم جيمس وجون ديوي، وجورج هيربرت ميد" وتلاههم من بعد الكثير من المربين التقدميين. وتقوم الفلسفة البرجماتية على مجموعة من النقاط هي: (عمر أحمد همشري، 2007، ص93)

- من المستحيل على الإنسان أن يصل إلى حقيقة لا تتغير في حدود العالم الذي يعيش فيه، وأنه ليس ثمة دليل على وجود الحقائق الثابتة.
- كل شيء في هذا العالم في حالة تغير مستمر، وليس ثمة ثبات فيه.
- أن عالمنا ملئ بالأفكار، ولكي نختبر أي فكرة علينا أن نضعها في بوتقة التجربة؛ وهي أسلم طريقة لاختبار الأفكار وأفضلها، فعندما نترجم الفكرة في صورة فروض، ثم نختبر هذه الفروض في بوتقة التجربة، فالنتاج هو أقرب ما يمكن أن يتوصل إليه الإنسان من معرفة صادقة.

- الجوانب الاجتماعية من الحياة مهمة جدا بالنسبة للفرد، فالإنسان اجتماعي بطبعه، وأنه ضعيف بمفرده، وأن تطوره يكون محدودا بدون العائلات والتفاعلات الاجتماعية.

### 1- رواد الفلسفة البراغماتية:

- **تشارلز بيرس:** يعتبر هو المؤسس الحقيقي للبراغماتية، فهو أول من أسسها كمنهج فلسفي وليس كمذهب ينطوي على نظريات، كان تجريبيا يحب الحياة العملية؛ إذ تأثر بالمنهج التجريبي الإنجليزي، ومنتقد المنهج التجريبي التقليدي؛ حيث كان له الفضل في تأصيل الفكرة البراغماتية وتطورها، إذ وضع بيرس أسس المذهب البراغماتي والذي يقوم على أن الفكرة يجب أن تكون ذات معنى حتى تكون حقيقة للجميع وليس لشخص بعينه، ولقد بدأ مذهبه بحيث جعل عنوانه (كيف نجعل أفكارنا واضحة) حيث ركز بيرس على وجود علاقة لا تنفصم بين الإدراك العقلي والهدف المعقول، فالمدلول العقلي لكلمة من الكلمات أو عبارة من العبارات في نظر بيرس، إما أن يكون فقط في معناها المقصود في مجرى الحياة؛ لذلك فإن الشيء إذا لم يكن ناجحا في التجربة فلا يمكن أن يكون له تأثير مباشر على السلوك؛ فالبراغماتية عند بيرس تنفي بالدرجة الأولى نظرية المعنى؛ أي أن أي مدرك عقلي وفقا لمفهوم بيرس يتضمن علاقة جوهرية خاصة بالعمل والسلوك البشري، بحيث أن هذا المدرك يمكن فهمه فقط عندما يمكن تطبيقه في الوجود الفعلي عن طريق العمل، فتعديل الوجود نتيجة لهذا التطبيق وهو المعنى الصادق للمدركات العقلية.

- **وليم جيمس:** قام وليم جيمس بتهذيب هذا المذهب وإعادة صياغته وتوسيع نطاقه ليشمل الاعتقادات الدينية، حيث أوضح أن البراغماتي لا يعنيه كيف تأتي الأفكار والمعتقدات، غير أنه تهمة أن يسأل عن صحة هذه الأفكار وصدق هذه المعتقدات ومدى صحة هذه الفكرة في مدى الحاجة العلمية لها، كما يترتب صدق معتقد فيما يترتب عليه من آثار ونتائج عملية، حيث أراد جيمس أن تقف البراغماتية موقفا وسطا بين المذهب التجريبي والعقلي، إذ لاحظ أن التجربة شديدة الإخلاص للوقائع المحسوسة للمشاهدات ولكنها تعمل القيم

الأخلاقية والدينية والإنسان له مطالب وحاجات يفى بها المذهب العقلي، فوقف موقفا وسطا يحقق الإخلاص للتجربة والواقع، ويعطي الإيمان بالقيم الروحية. كما أنه قام بفحص الفلسفة البراغماتية في ضوء موضوعات الميتافيزيقيا القديمة نتوصل إلى أن الحقيقة هي القيمة الجوهرية للفكر وبذلك انتقل الناس في الفلسفة البراغماتية من السؤال عن ماهية الشيء وحقيقته إلى التساؤل عن قيمة العمل في الفكرة، فهي صادقة مادام تحقق لنا نتائج عملية مضمونة(ابراهيم ناصر، 2001، ص112)

- **جون ديوي(1859-1952):** يعد جون ديوي الأمريكي ممثل للفلسفة البرجماتية القائمة على التغير والعملية والتجريبية. وقد كان ديوي عملاقا في هذا الميدان، عين أستاذ الفلسفة في جامعة شيكاغو. وكتب العديد من الكتب كان أولهما كتاب المدرسة والمجتمع عام 1899م، الذي خلص فيه إلى أن المدرسة هي المجتمع، ثم قام بنشر كتاب آخر هو الديمقراطية والتربية عام 1916م، والذي ركز فيه على أهمية حرية المتعلم في اختيار أفكاره ومعتقداته وقيمه، وأكد بذلك على أهمية الديمقراطية التربوية، ولقد أحدث كتاب ديوي الطفل والمنهج، ثورة في عالم التربية، إذ عد الطفل محورا للعملية التربوية ومركز الجاذبية فيها، وقد كانت الفكرة التقليدية القديمة تعتبر أن الطفل وجد للمدرسة، بينما رأى ديوي أن المدرسة وجدت للطفل وهي خادمة له، كما أن له مؤلفات أخرى مثل: علم النفس والمنهج، الأخلاق، مدارس الغد(عمر أحمد همشري، 2007، ص95)

ويعتبر ديوي أن المدرسة عبارة عن مجتمع مصغر، يجب أن يحمل مقومات المجتمع الكبير وأن يرتبط بكل ما يجري به، لذا يؤكد على أن التربية ليست إعداد للحياة بل هي الحياة ذاتها. وهي عملية نمو مستمرة، تقوم على إكساب الخبرة للمتعلم، كما تعتبر عملية اجتماعية تقوم على التفاعل في جو ديمقراطي.

وبالنسبة لمناهج الدراسة فإن "جون ديوي" ينتقد بشدة المفهوم التقليدي للمناهج الذي ي قوم على تقسيم المنهج إلى مواد منفصلة وعلى ترتيب هذه المواد ترتيبا منطقيًا قد يتفق مع عقلية

التلاميذ الصغار، لأن استعدادات الطفل العقلية في سنه المبكرة وطبيعة تكوينه العقلي لا تتفق مع هذا الترتيب ولذلك التقييم. وليس المركز الحقيقي للمنهج في نظره هي المواد الدراسية المنفصلة المستقلة بعضها عن بعض بل مركزه هي نشاطات الطفل الذاتية(محمد التومي الشيبان، 1982، ص-ص 354-355).

كما يعطي أهمية كبيرة للخبرة المباشرة، التي يقع على عاتق المدرسة إيصالها للتلميذ، كما عليها ربط خبرته داخل المدرسة بخارجها. ومن القضايا التي يرى جون ديوي الأخذ بها في التعلم هوم الرعاية الفروق الفردية بين التلاميذ، من حيث استعداداتهم وإمكاناتهم وقدراتهم الطبيعية.

## 2- مبادئ الفلسفة البراجماتية:

### أ- الطبيعة البشرية:

تذهب معظم الفلاسفات المادية إلى القول أن الانسان جسم فقط بينما يذهب العقليون الى القول ان الانسان عقل فقط، وهناك فريق من الفلاسفة يقول ان الانسان جسم وعقل في آن واحد، وهذا ما يطلق عليه الثنائية في الطبيعة البشرية ورواد الفلسفة البراجماتية وخصوصا جون ديوي يرفضون هذه النظرة الثنائية للطبيعة البشرية كما يرفضون الطبيعة العقلية أو الروحية للطبيعة البشرية كما ذهب المثاليون

وفى ظل هذه النظرة البراجماتية للطبيعة البشرية فسر جون ديوي قرارات الانسان من خلال نظرية السلوك الإنساني وليس على اساس ان الانسان مكون من بدن وعقل والبراجماتيون وعلى رأسهم جون ديوي يرفضون العقل كاسم ويؤكدون ما يطلقون عليه السلوك الذكي، فالفعل في نظر ديوي لم يعد اسما بل اصبح صفة تصف انواع معينة من السلوك البشرى ويتضح ذلك من قوله: ليس هناك عقل مستقل وهب في حد ذاته ملكة التفكير وبنظرة البراجماتية للطبيعة البشرية على النحو السابق انزلت الفلسفة العقلية من العلياء ولم تضع الفلاسفات المادية في مكان الصدارة في صدق النظرة للطبيعة البشرية، ولكن اتخذت لها

موقفاً مستقلاً فهي تؤمن بأن الإنسان بدن وفي نفس الوقت تقرر وجود العقل على اعتبار أن سلوك ذكي وليس عقلاً.

وفضلاً عن ذلك فإن البراجماتيين يقولون أن الإنسان في واقعة كائن حي يعيش في بيئة اجتماعية وبيولوجية في آن واحد ، وبذلك فإنهم يؤكدون الجانب الاجتماعي للطبيعة البشرية، والبراجماتيون ينظرون إلى الطبيعة البشرية على أنها مرنة وطيدة وقد انعكست هذه النظرة للطبيعة البشرية على رأيهم في تربية الطفل حيث يرون أن هذه التربية تقوم على اعتبار أن الطفل كائن حي إيجابي مبتكر.

وقد تركت نظرة البراجماتية للطبيعة البشرية بصمات على الحياة التربوية حيث لا يكاد يخلو جانب من جوانب العملية التعليمية ألا وتأثر بوجهة نظر البراجماتية في الطبيعة البشرية خصوصاً مجالات: المتعلم والمناهج الدراسية والوسائل التعليمية.

### ب- نظرية المعرفة:

تنظر الفلسفة الواقعية إلى المعرفة على أنها مجرد انطباع أثار حسية على المخ وتعتمد دقة هذه المعرفة على مطابقة الأثار المطبوعة في المخ للشيء الخارجي علاوة على ذلك فإن كلما كثرت هذه الانطباعات زاد حجم المعرفة الانسانية فضلاً عن ذلك فإن الحواس تمثل المنافذ الخارجية الوحيدة للإنسان وهذا يعنى أن المعرفة في نظر الواقعية عملية سلبية وفي الوقت نفسه تنظر الفلسفات العقلية للمعرفة على أنها وجود للشيء المعروف في العقل وعلى ذلك فإن العقل مزود بمعرفة فطرية ومبادئ عامة يطلقون عليها المعرفة الفطرية. وفوق هذا فإن العقل هو أداة المعرفة الأساسية والمعرفة في نظر العقلين عملية ايجابية.

وترى البراجماتية أن المعرفة عبارة عن علاقات نشطة تقوم بين العارف والموضوع الذي يعرفه وذلك من خلال الحواس أو الخبرة الحسية، ونظرة البراجماتية للمعرفة على هذا النحو تشير إلى أنها عملية ايجابية كما تنفى وجود مبادئ عامة أو معرفة قبلية في عقل الإنسان ومما يدل على ذلك فإن الطفل الذي يواجهه شيء لا ينظر اليه ثم تتطبع صورته في ذهنه

فقط، ولكن هذا الطفل يقوم بعمل تجاه هذا الشيء فيمسك به أو يهزه أو يفكه أو على الأقل يعضه وهكذا.

والمعرفة عند البراجماتية شيء يفعل ويختبر قبل الحكم عليه بصلاحيه الاستعمال الدائم وقد تكون المعرفة في البداية اخبار ريثما تتقلب إلى حقائق إذا جاءت مناسبة لحل مشكلات معينة بعد اختبارها في بوتقة الخبرات، ومن التطبيقات التربوية لوجهة النظر هذه ما يتمثل في ان المناهج الدراسية يجب ان تتبع من ذوات المتعلمين ولا تفرض عليهم من الخارج وهذا معناه عدم بناء المناهج الدراسية مسبقا او بمعزل عن مشاركة المتعلمين.

وينظر البراجماتيون إلى العقل على أنه مجموعة الخبرات التي كونها الفرد من خلال عمله ونشاطه والعقل بهذا المعنى يكون نشيطا استطلاعيا، فضلا عن ذلك يقولون ان الانسان لا يقتصر دوره على مجرد استقبال المعرفة بل انه يصنعها ايضا.

وقيمة الفكرة عند البراجماتيين تكون باثاها العملية في حياة الانسان فكل فكرة لا تؤدي إلى سلوك عملي في رأيهم هي فكرة باطلة أي ان معيار قبول الفكرة عند البراجماتيين هو مقدار ما تحققه من منفعة، كما يقول البراجماتيون ان الفكرة الصادقة هي التي تحقق منفعة والحكم على هذه المنفعة لا يكون الا بالتجريب، وبوجه عام فان المعرفة عند البراجماتيين تتبع من المشاركة الفعلية للفرد في بيئته وتفاعله مع عناصر هذه البيئة خصوصا انه جزء منها، فالمعرفة اذن ليست قوة ذهنية مصدرها الحس والعقل معا فحسب ولكنها نابعة من الخبرة ونتيجة لها في نفس الوقت، فضلا عن ذلك فالمعرفة وسيلة وليست غاية كما ان الخبرة وسيلة من وسائل المعرفة.

### ج- فلسفة القيم:

القيم بوجه عام لا تعدو أن تكون المعايير او المقاييس التي يتفق عليها الناس ويتخذون منها موازينا يزنون بها اعمالهم ويحكمون بواسطتها على تصرفاتهم المادية والمعنوية وترتبط القيم عند البراجماتيين بالبيئة التي يعيش فيها الانسان سواء كانت هذه البيئة مادية أم اجتماعية

وتنشأ القيم في نظرهم نتيجة لمحاولات الانسان المستمرة في البحث عن أساليب للسلوك وطرق للتصرف تحقق له اكبر قدر من السعادة من جهة والمنفعة من جهة أخرى ، وعندما تتغير ظروف البيئة بشقيها المادي والاجتماعي تقتضى الحاجة البحث عن حلول جديدة لما يجد من المشكلات ومن ثم تتقلب القيم في المجتمع تبعا لتقلب الظروف والاحوال. اذن القيم في نظر البراجماتيين متغيرة وليست ثابتة كما انها نسبية وليست مطلقة، ذلك لأنها تتغير من عصر إلى عصر في ذات المجتمع كما تتقلب من مجتمع إلى آخر والانسان في جميع الاحوال هو الذي يحدد القيم التي تحقق له الحياة الطيبة والمنفعة المطلوبة. وترى البراجماتية أن لدراسة القيم اهمية بالغة في ميدان التربية ومن اهم جوانب هذه الاهمية ما يلي :

- تتصل القيم اتصالا مباشرا بالأهداف التربوية التي تسعى إلى تحقيقها من جهة وقرسها في التعلم من جهة أخرى ومعنى هذا ان بعض القيم يشكل اهدافا تربوية ومن هذه القيم على سبيل المثال وليس الحصر احترام العمل، الاخلاص في أداء الواجب، الموضوعية والتجرد في الحكم على الآراء والافكار وغيرها.
- القيم طاقات للعمل، ودوافع للنشاط ولذلك فإن اهتمام التربية يقرس القيم في نفوس المتعلمين يجب ان يفوق اهتمامها بتزويدهم بالافكار والمعلومات.
- تمثل القيم اطر مرجعية ومعايير على اساسها يتم تقييم الاعمال سواء كانت تربوية أو غير تربوية وبناء على نتائج هذا التقويم يكون قرار الاستمرار في هذه الاعمال أو ايقافها.
- وللقيم اهمية رابعة تتمثل في قيمتها في امكانية التنبؤ بسلوك الفرد مستقبلا وتتعدد مصادر القيم وتتنوع فمن هذه المصادر على سبيل المثال وليس الحصر - الدين والعقل والمجتمع بماضيه وحاضره ومستقبله- والحقيقة ان البراجماتية تؤكد ان حاضر المجتمع على وجه الخصوص يمثل المصدر الوحيد للقيم والمؤلف يختلف مع البراجماتية ويقرر تعدد وتنوع مصادر القيم بل يقرر ان الدين يأتي على قمة هذه المصادر اما العقل والمجتمع فيأتیان في

مرتبة تالية وهكذا. والبراجماتيون لا يؤمنون بخلود القيم مثل الحق والخير والجمال والصدق على النحو الذي امن به العقليون.

ويتضح مما تقدم أن الفلسفة البراجماتية تتعامل مع القيم على اساس انها من خبرات الافراد وبهذا فإن البراجماتية تؤكد على الجوانب الاجتماعية في مجال القيم؛ ولذلك فإن المجتمع في نظر البراجماتى مجال الخبرات المشتركة، والاندماج في هذا المجتمع ولهذا تحت التربويين على غرس القيم في نفوس الناشئة نابعة من المجتمع ومؤدية إلى تحقيق السعادة لهم والنفعة.

#### د - فلسفة التفكير:

إذا كانت الفلسفة البراجماتية تؤمن بالمعرفة القائمة على الخبرة وإذا كان معيار صدق المعرفة لديها هو لسان التجربة فإن هذه الفلسفة تعتمد التفكير العلمي القائم على الخبرة من جهة والتجربة من جهة أخرى ويحتل هذا النمط من التفكير مركز الصدارة في نظرها وتتضاءل امامه الوان التفكير الاخرى حتى إن التفكير العلمي يعتبر في نظر البراجماتية هو الاسلوب الامثل الذى يحقق الخير للفرد والمجتمع.

ومن منطلق اهتمام البراجماتية بالخبرة من جهة واهتمامها بالتجريب من جهة أخرى فان التفكير العلمي في نظر البراجماتيين يمر بخمس خطوات هي:

الاحساس بالمشكلة وتحديد المشكلة وفرض الفروض واختبار صحة الفروض واخيرا تقييم النتائج وتعميمها.

ومما تقدم نجد ان البراجماتيين يسعون إلى نشر التفكير العلمي بين المتعلمين وعلى التربية ان تسعى عن قصد لتحقيق لأجل نشر التفكير المنطقي والتفكير الاستنباطي بين صفوف المتعلمين ذلك لأن هذا من شأنه تحقيق التوازن والانسجام بين جوانب الحياة في المجتمع.

#### هـ - فلسفة التغيير:

يؤمن البراجماتيين بمطلق التغيير فإنهم يدعون إلى مجتمع يرسم خطه اولا بأول في سعيه لتحقيق النمو والتقدم؛ ولذلك فهم يعترضون على التخطيط المسبق للمجتمع؛ ولذلك يتجه



البراجماتيون إلى تحقيق نمو كل من الفرد والمجتمع والنمو الذى ينشده البراجماتيون هو الذى يؤدي إلى تحقيق مزيد من النمو، وفى تقديرهم ان هذا النمو يتحقق عن طريق تنمية الذكاء الإنسانى في مؤسسات التربية ودور التعليم.

وتأسيسا على ما تقدم فان البراجماتيين ينادون بعدم التخطيط للمناهج الدراسية مسبقا والأكثر من ذلك دعوتهم لمشاركة المتعلمين في تخطيط هذه المناهج .

### و- فلسفة الخبرة:

الخبرة من الموضوعات التي حظيت باهتمام الفلسفة البراجماتية حتى كاد يسميها البعض فلسفة الخبرة؛ وللخبرة معان كثيرة منها ما قال به جون ديوى ومنها ما قال به المهتمون بهذه الفلسفة، فيقول ديوى: إن الخبرة تفاعل الانسان مع البيئة، ومن خلال هذا التفاعل تحدث الخبرة الانسانية التي يتعلم منها الانسان فالخبرة اذن مظهر من مظاهر النمو الإنسانى بغض النظر عن اتجاهه واما إذا كان مرغوبا فيه ام مرغوب عنه.

وللخبرة جانبين احدهما مباشر والآخر غير مباشر والجانب الاول يتمثل في ملاءمة الخبرة للشخص أو عدم ملاءمتها واستمتاعه بها من عدمه، اما الجانب الثاني لها فيتمثل في مدى قدرتها على التأثير فيما لدى الشخص من خبرات؛ ولذلك نادى جون ديوى بمبادئ اساسيين للخبرة هما التواصل والتفاعل مع البيئة.

ويؤمن جون ديوى بوحدة الخبرة يتفق مع العقل من جهة ومع الواقع من جهة أخرى والخبرة نوعان: احدهما الخبرة المربية والثانية الخبرة غير المربية والخبرة من النوع الاول خبرة مرغوب فيها في مجال التربية والتعليم مثل الخبرة الجيدة في ميدان القراءة مثلا اما الخبرة من النوع الثاني فغير مرغوب فيها في هذا المجال ومنها على سبيل المثال الخبرة في ميدان السرقة.

ويمكن ايجاز مبادئ الفلسفة البراجماتية في النقاط التالية:

- أتباعها يؤمنون بالتطور المستمر في جميع مظاهر الحياة.

- يؤمنون بوحدة العالم ووحدة الشخصية الإنسانية وقدرة الإنسان على إصلاح المجتمع.
  - تقديس العمل والتأكيد أن الخبرة والتجربة هي المصدر للمعرفة.
  - مصدر الحق عند البراغماتية هو التجربة النافعة لأكبر عدد من الناس.
  - يؤمنون أن كل شيء في تغير مستمر، فلا وجود لحقائق ثابتة.
  - استخدام التجربة للوصول إلى الحقيقية، بمعنى أن الإنسان هو الذي يصنع مثله بنفسه، ويبني الحقيقة بنفسه، لأنه هو الذي يجري ويبحث في ثنايا التجريب، وبالبحث تبرز القيم والمثل والحقائق التي تنفعه في حياته.
  - الإيمان بالمشاركة في الخبرة حيث تتبلور الديمقراطية التي تعني نظاما وأسلوبا في الحياة المشتركة، ومن الخبرة المشتركة بالاتحاد والاشتراك والتفاهم المشترك.
  - لا تؤمن البراغماتية بوجود قوانين اخلاقية أو قيم مطلقة، فلا وجود لقيمة إلا إذا كان هناك إشباع وخطوة، ولكن لا بد من الوفاء بشروط معينة لتحويل الإشباع أو الخطوة إلى قيمة، فالبراغماتي لا يؤمن أو يتبع الأشياء لذاتها ولكن لفائدتها ومقدار ما تسنده من حاجاته.
  - قيمة الذكاء النافذ في جميع السلوك الإنساني.
  - يرى البراغماتيون أن العقل نشيط وإيجابي وليس سلبي فهو لا يستقبل المعرفة بل يعالجها بتفاعله مع البيئة.
  - القيم نسبية وليست ثابتة، فالقيمة تؤخذ بمعيار المنفعة أو إشباع حاجات ضرورية وملحة.
  - الطريقة العلمية أفضل الوسائل والأساليب لاختيار ومعالجة الأفكار.
  - أهمية الديمقراطية كطريقة للحياة.
  - لا يتم معرفة الأشياء ومعناها الحقيقي إلا بالتجريب.
- 3- التطبيقات التربوية للفلسفة البراغماتية:** تنظر الفلسفة البراغماتية للتربية على أنها عملية اجتماعية تقوم على الخبرة الحسية، فهي ترى أن التربية ليست إعداد للحياة وإنما هي الحياة في ذاتها، لذا لا بد للمدرسة أن تهيب مواقف الحياة الحقيقية داخلها، لذا نجدها

بالإضافة للأنشطة الصفية، فهي في الوقت نفسه تركز على الأنشطة اللاصفية، ويعتبرون أن المدرسة مجتمع مصغر تزود المتعلم بكل المهارات الاجتماعية التي تهيؤه إلى للتعايش والتكيف مع المجتمع عامة (منير مرسي، 1995، ص191) وسوف نستعرض بعض التطبيقات التربوية للفلسفة البراغماتية على النحو التالي:

- **الأهداف التربوية:** تنظر البراجماتية إلى الهدف التربوي على أنه متغير ويرجع ذلك إلى ايمانها الشديد بقضية التغير، وكذلك تنظر البراجماتية إلى هذا الهدف على أنه نابع من الخبرة وليس خارجا عنها كما أنه متصل بالوسيلة ومتصل كذلك بالحاضر بعيدا عن المستقبل كما انه ذو طبيعة اجتماعية وليس له طبيعة فردية.

اما عن نوع الهدف التربوي فهو نوعان:

اولهما الاهداف التربوية العامة مثل: تكوين المواطن الصالح تحقيق الديمقراطية، تحقيق النمو الذي يؤدي إلى مزيد من النمو.... الخ وثانيهما: الاهداف التعليمية وهي التي توجه عمل المعلم داخل الفصل، كما ترى الفلسفة البراغماتية أن أهداف التربية تساعد الفرد في نموه وفي تعلمه وفي تكيفه مع بيئته وحياته، وتؤكد على ألا تكون هذه الأهداف مفروضة من الخارج لأنها عندئذ لا تمثل أهداف الفرد الحقيقية، ولا تتبع من نشاطاته فالأهداف الحقيقية عندها هي تلك التي يحددها الفرد بنفسه أو يشترك في تحديدها في ضوء خبراته السابقة وحاجاته ولعل أهم هذه الأهداف عند البراجماتيين هي:

- مساعدة الفرد على التكيف المستمر مع بيئته الاجتماعية والطبيعة وتزويده بالخبرات التي تتطلبها هذا التكيف.

- إعداد الفرد للحياة المستقبلية دون إهمال لمتطلبات حياته الحاضرة.

- إعداد بناء الخبرة الاجتماعية وتحسين المجتمع وتطوره من خلال تنظيم عملية المشاركة في الوعي والاجتماعية توافق لنشاط الفرد على أساس هذا الوعي.
- اكتسب الفرد المعرفة التي تعمل على تنظيم الخبرة ولتوجيه الخبرة التالية.
- اكتساب الفرد اهتمامات تتعلق بمظاهر الحياة السليمة التي تجعله أكثر سعادة وفهم في ارتفاع مستوى بنائه الشخصي.
- تمكن المجتمع من صياغة أغراضه الخاصة وتنظيم وسائله وموارده.
- والغاية من البرامجاتية هي مساعدة الطفل ليصبح ذا قيمة اجتماعية في الحاضر والمستقبل، والعيش بتوافق مع الآخرين خلال تطوره الفردي ومساندتهم على فهم بيئتهم وحل المشكلات بأنفسهم بصورة علمية، ومهارات كيف تتعلم باستمرار واحترام الديمقراطية وقيمها وممارساتها في الإطار السياسي والاجتماعي.
- **المنهج:** إن المنهج في الفلسفة يعد عنصرا أساسيا في العملية التربوية لأنه محور انتقاء الغايات والوسائل كما أنه الأداة العملية التربوية التي تعين التلميذ على مواجهة المشكلات اليومية وحلها بطريقة وظيفية فعالة، ويتضمن العديد من أوجه النشاطات على أنه ينبغي عند وضع المنهج أن يكون صحيحا وسليما يضمن للتلميذ الانتفاع به انتفاعا حرا داخل المدرسة، وفي أثناء حياته اليومية، وتشغل المنهج الدراسي وحدة ديناميكية هادفة وليست مجرد تنظيم معرفي جامد، أما العملية المعرفية ومواردها تحدد في الفلسفة البرامجاتية في حدود اعتبار العملية والفرضية؛ وليس هناك مجال للقول بأن المعرفة تحدد في حدود الاعتبار + النظرية التأملية الدقيقة أو الاعتبار + الفكرية المحددة.

وبما أن الهدف التربوي في نظر البرامجاتية هو النمو الذي يؤدي إلى مزيد من النمو، فإن المنهج الدراسي يعتبر وسيلة حية لتحقيق هذا الهدف، وترى البرامجاتية ان منهج النشاط

وخصوصا المناهج التي تقوم على الوحدات الدراسية، أو منهج المشروع هي الكفيلة بتحقيق اهداف التربية على النحو الذي تراه البراجماتية، وهذه الفلسفة لم تقصر مناهج النشاط على مرحلة تعليمية بعينها ولكنها جعلت هذه المناهج عامة على مختلف المراحل التعليمية.

والمنهج الدراسي الذي تتطلع اليه البراجماتية منهج متغير بتغير ظروف المجتمع وتغير شخصيات المتعلمين وبيئاتهم، فضلا عن ذلك فتتطلع هذه الفلسفة إلى تبعية هذا المنهج للخبرة التربوية بل يجب ان يكون نابعا منها وتطلع جون ديوي إلى مناهج كهذه لم يأت من فراغ ولكنه يقوم على اسس هامة منها أن التلاميذ وخصوصا الاطفال مشحونون بحيوية زائدة، ولديهم استعدادات نظرية ينبغي استغلالها استغلال يساعد على تشكيل شخصياتهم تشكيلا شاملا يسعدهم في حياتهم الحاضرة والمستقبلية فضلا عن ذلك تركيز هذه المناهج على رغبات المتعلمين وميولهم.

ومن اهم نماذج المناهج الدراسية عند البراجماتية منهج المشروع وهذا المنهج يقوم على عدة خطوات أهمها:

- اختيار المشروع على أن يكون هذا الاختيار عن طريق الشورى بين المعلمين والمتعلمين وان يكون للمشروع هدفه معين.
- وضع خطة محكمة للمشروع .
- تنفيذ المشروع .
- تقويم المشروع.

كما تطالب الفلسفة البراجماتية أن المنهج الدراسي لا يقتصر على القراءة والكتابة، بل يشمل الطبيعة والأشغال والرسم، إذ يعتمد البراجماتيون أن هذه الأنشطة تعمل على تنمية الفضائل

الأخلاقية وضبط النفس والاستقلالية، فالبراغماتية لا تعطي اهتمام بالتراث الثقافي وتركز فقط على الحاضر والمستقبل، كما أنها لا تهتم بتقديم مناهج منتقاة ومرتبطة من قبل الكبار وموضوعاتها تقليدية، فهي تقدم المعرفة مفصولة عن التجربة، ومجزئة إلى أقسام، وترى المنهج مجموعة من المهارات وفنون يدوية وحل للمشكلات واهتمامها ببناء المناهج على أساس تعاون من قبل المهتمين والمختصين والعمل على تطويرها من خلال الخبرات النافعة.

وتؤكد الفلسفة البراجماتية على أهمية التربية الخلقية خصوصا على مستوى الطفولة، وجدير بالذكر أن الاخلاق التي تسعى البراجماتية إلى تحقيقها في نفوس الاطفال والناشئة هي الاخلاق التي تثبت التجربة نفعها فضلا عن ذلك يؤكد البراجماتيون على ضرورة الاهتمام بميول المتعلمين ورغباتهم ويعتبرونها فصل الخطاب في بناء المناهج الدراسية.

- **أساليب التعليم:** يرى البراجماتيون أن نشاط الطفل أساس كل تدريس عندهم، حيث يرون أن الطفل نشط تلقائي وأن كل ما يفعله التدريس في رأيهم هو أن يوجه هذا النشاط، حيث أن النشاطات الهادفة الفعالة المنظمة منفصلة على النشاطات الطائشة الآلية، فليس الهدف من التعليم تعلم الطفل ما لا بد له من فعله، وإنما تشجيعه لكي يعرف بنفسه نتيجة نشاطه الذهني التجريبي.

كما يرى البراجماتيون أن النشاط المرغوب فيه هو الذي يؤدي إلى سلسلة من التغيرات، كما يهتم البراجماتيون باحترام الرغبات الذاتية ودمجها في العملية التعليمية، ونعطي اهتماما كبيرا بتعليم الأطفال كيف يحلون مشكلاتهم اعتقادا منها بأن ذلك سيزود الطالب بالمعرفة والمهارات.

تعتقد البراغماتية أن الطفل يتعلم عن طريق النشاط أكثر منه عن طريق التلقين، وتعزز البراغماتية أساليب التعليم عن طريق التجريب والمحاولة والخطأ، وحل المشكلات التي تقوم على الطبيعة البيولوجية والاجتماعية والإفادة من تعاون الطلبة في الفريق للتعلم التعاوني لتعلم الطلبة مهارات الاعتماد على النفس والبحث العلمي.

- **المعلم:** تدعو الفلسفة البراغماتية المعلم إلى مشاركة المتعلمين في بناء المناهج واتخاذ القرارات التربوية التي تتصل بهم خصوصا الاهداف التربوية والانضباط داخل الفصل شريطة قيام هذه المشاركة على الشورى، والفلسفة البراغماتية تشجب استبداد المعلم بالمتعلم وتدعو إلى تمتع المتعلم بحرية واطمئنان يدفعان المتعلم لدفع مكنونات صدره من الاستفسارات على مائدة الدرس التربوي وامام المعلم، وتقرر البراغماتية عدم المبالغة في هذه الحرية الى الحد الذي يؤثر على حرية المعلم او على هيبته ووقاره .

وجعلت التربية البراغماتية الطفل ونشاطه هو محور العملية التربوية التعليمية، ورأت أن المعلم البراغماتي إنما هو إنسان مشارك في الموقف التعليمي، وهو صاحب خبرة ومرشد يسهل العملية التعليمية، ويقتصر دوره على الإثارة والتأثير وتسهيل التعلم، ويتوقع البراغماتيون من المعلم احترام وحقوق الأفراد والممارسات الديمقراطية والقدرة على حل المشكلات واستعمال الأساليب المناسبة. وعلى المعلم أن يطبق قوانين المدرسة من خلال الممارسة الديمقراطية فيها والمتمثلة في الاجتماعيات التي تعقد بين المتعلمين والطلبة لتقرير حاجاتهم، وألا يقتصر دوره على تعليم القوانين للطلبة بل تعليمهم صنع القوانين، وكذلك عليه فهم الانطباعات الشخصية والاجتماعية بهدف تكوين الحياة الاجتماعية الصحيحة داخل المدرسة. ويمكن ايجاز نظرة البراغماتية للمعلم في النقاط التالية:

- أن المعلم موجه ومرشد، ولا بد أن يفهم طبيعة المتعلمين.

- يفسر المعلومات ويتجنب الحشو والتلقين.
  - يعلم المتعلمين استراتيجيات التعلم وطرق التفكير.
  - يدفع الطلبة إلى التجريب وفحص الأفكار الجديدة ويكون مشارك في المناقشات.
  - يشجع المعلم المتعلمين على التعلم الذاتي ومشاركة الآخرين دون أن يكون هناك نوع من المراقبة الشديدة.
  - التنوع في طرق التعليم وذلك لاستثارة طاقاتهم في المواقف التعليمية.
  - التشجيع على التعلم من خلال العمل وحل المشكلات.
  - المتعلم: وتؤكد البراجماتية على فاعلية المتعلم في العملية التعليمية ودوره الإيجابي، ومن الاساليب الملائمة لتحقيق ذلك اسلوب الحوار والمناقشة.
- ويؤمن البراجماتيون ايمانا شديدا بالفروق الفردية بين المتعلمين وقد ترتب على هذا الايمان قيام البراجماتية بحث المعلمين على مراعاة هذه الفروق، وتتمثل هذه المراعاة في قيام المعلم بتوجيه اسئلة لكل متعلم تتناسب مع قدراته العقلية واستعداداته الذهنية مع عدم تكليفه الا بالواجبات التي تتفق مع هذه القدرات من جهة والظروف الاجتماعية والاقتصادية للمتعلم من جهة أخرى.
- وتفضل البراغماتية أن يكون الطالب شخصية نامية ومتطورة فيها المقدرة على التواصل الاجتماعي، وإثبات الذات والإسهام في حل المشكلات، ولديه مهارات كامنة لحل المشكلات والحصول على الخبرات الجيدة، واحترام حقوق الآخرين وإحسان التواصل معهم بصورة ديمقراطية، وإعطاء الطالب الحرية في الاختيار والعمل، وتفهم البراغماتية بأن طبيعة الطالب



صفة بيولوجية واجتماعية قابلة للتعلم والنمو من خلال التفاعل الذكي مع معطيات البيئة وإمكانيات التعلم في نماذجها الاجتماعية والخبرات التي يحصل عليها من البيئة.

كما أن البراغماتية لا تسمح للنظام الصارم القاسي، وأن الطلب حزمة من النشاط يستمد قوته من الاتجاهات النظرية المكتسبة وهذا النشاط هو الأساس في التخطيط لكل عملية في مجال التدريس، ولقد جعلت البراغماتية من التلميذ محورا أساسيا في العملية التربوية، وطالبت بأن يتبع النظام من الطفل نفسه ومن إحساسه بالمسؤولية من خلال المشاركة والتوجيه بأهمية النظام المدرسي.

أما في حالة حدوث بعض المشكلات فتطالب هذه الفلسفة المعلم بحلها دون رجوع إلى الإدارة المدرسية وذلك باتباع الأساليب التالية:

- المقابلات الفدية ومحاولة الإرشاد.
- إحالة المخالفات إلى مجلس التلاميذ.
- التأكيد على دور تعزيز والمكافأة على السلوك الحسن.
- **التقويم:** إن عملية التقويم في الفلسفة البراغماتية مهمة للغاية ويتحمل مسؤوليتها المعلم أما طلابه والمجتمعات التي ينتمي إليها، ويستخدم المعلم البراغماتي الامتحانات المدرسية التشخيصية والتحليلية والعلاجية، والهدف من التقويم هو الحصول على تغذية راجعة تتخذ منها مؤشرا على النتائج النهائية للعملية التعليمية.

ويميل البراغماتيون إلى تبني الأدوات الديمقراطية في عملية التقويم سواء كانت الاختبارات القائمة على المجتمعات المعيارية او المجتمعات التي تقوم على المجتمعات المرجعية.

وعادة يركز التقييم البراجماتي على قياس قدرة الطلبة على حل المشكلات وإنجاز المشاريع والتطبيقات العملية وتشخيص أساليب التعليم وكيفية تعلم الطلبة (حبيب جعنين، 2004، ص-ص 140-142)

#### 4- بعض الانتقادات الموجهة للفلسفة البراجماتية:

أولاً: لا تؤمن البراجماتية مطلقاً بالميتافيزيقا ويتضح ذلك من عدم ايمانها بفنائية الهدف التربوي او نهائيته كما يتضح ايضا في تشكيلها في مسعى التربية لاكتشاف النفس.

ثانياً: النمو الذي تتادى به البراجماتية يحمل معنى الغموض والابهام؛ فالنمو في نظر هذه الفلسفة هو الذي يؤدي إلى مزيد من النمو ومعنى النمو على هذا الوجه يحمل غموضاً وابهاماً شديدين.

ثالثاً : المنهج الذي ارتضته البراجماتية يصلح للمرحلة الابتدائية فقط؛ فالمنهج الدراسي الذي ارتضته هذه الفلسفة لا يصلح إلا للمرحلة الابتدائية فقط لأنه سواء كان منهج وحدات او مشروع يتضمن نشاطات تربوية لا تناسب قدرات المتعلم في المرحلة الاعدادية او المرحلة الثانوية لان هذا المنهج دون قدرات الطلاب في هاتين المرحلتين فضلا عن فقر هذا المنهج الشديد للمعارف والمعلومات.

رابعاً: انكار خلود المثل والقيم الروحية: القيم في نظر الفلسفة البراجماتية تتغير من عصر إلى عصر ومن مجتمع إلى مجتمع بل في نفس المجتمع الواحد . وقد نوافق البراجماتية في هذا عندما تكون هذه القيم اقتصادية ام وجدانية مثلا ولكن لا يمكن موافقة البراجماتية على انكار معظم بل جميع المثل والقيم الروحية مثل: قيم الصدق والاخلاص والامانة وغيرها.

خامساً: المعرفة لا تقصد لذاتها ولكن تقصد للمنفعة: معيار صدق المعرفة واهميتها في هذه الفلسفة هو مقدار ما تحققه للإنسان من منفعة، ولذلك فالسائد في الفكر البراجماتي ان الغاية

تبرر الوسيلة والمعرفة عندهم لم تقصد لذاتها ولم تقصد لتحقيق المتعة العقلية مثلا ولكن تقصد لتحقيق المنفعة.

سادسا: تأكيدها على الناحية الحسية اكثر من الناحية العقلية: تأكيد الفلسفة البراجماتية على الناحية الحسية اكثر من الناحية العقلية امر طبيعي ان يصدر عن هذه الفلسفة ذلك لأنها تضع البدن في مرتبة ارقى من العقل بل تذهب اكثر من ذلك فتجعل العقل اثرا من اثار المخ ولذلك تقرر البراجماتية ان الحواس تمثل منافذ المعرفة الحقيقية عند المتعلم.

سابعا: القيم عند البراجماتية متغيرة وليست ثابتة نسبية وليست مطلقة: تؤمن البراجماتية ان القيم متغيرة وليس هذا بغريب على هذه الفلسفة ذلك لإيمانها بقضية التغير المطلق فضلا عن هذا فإن القيم عند البراجماتية نسبية وليست مطلقة والذي اوقع البراجماتية في هذا الانتقاد انها نظرت للقيم نظرة شاملة وعلى أنها وحدة واحدة ولم تنتظر للقيم على أنها انواع، فلو نظرت اليها كذلك لكان قولها القيم بجملتها متغيرة أما القيم الأخلاقية فمعظمها مطلق وثابت وليس نسبيا أو متغير.

يمكن تقديم بعض الانتقادات التي وجهت للبراجماتية في النقاط التالية:

- حصر مطالب الإنسان في النواحي المادية ورفض الجانب الروحي فالنقد الحضاري هام ومطلوب لكن وحده لا يكفي، فلا بد من التقدم في جانب الروحي.

- أن شرط البراغماتية اعتبار وجود الدين وأصوله موضعا للبحث لا أهمية له، إذ يعد تجاوزا للعقل في تفكيره وإرهاقا له، كونه يحول الدين إلى قيمة مادية ملموسة، قد تكون ذات يوم لها نفع وفي يوم آخر لا نفع لها.

- ينظر البراغماتيون إلى القيم الثابتة كالحق والخير كما ينظرون إلى السلعة التي تطرح في الأسواق، مما فتح الباب أمام المنافسة والصراع وتمجيد العنف، فالحق والخير معياره المنفعة المادية التي ستعود من ورائها وليس معياره القيمة في حد ذاتها.
- التأكيد على الخبرة الذاتية في عملية التعلم لكل مادة تعليمية.
- البراغماتية تجعل الطفل هو أساس العمل التربوي؛ حيث تجعل اهتماماته وميوله هي التي تحدد المادة التعليمية وتغفل عن العوامل الاجتماعية هذا يدفع البراغماتيون إلى رفض التحديد المسبق للعملية التعليمية وتخطيط مراحلها.
- مادية القيم النفعية وتراجع المعايير القيمية والأخلاقية المطلقة أو الثابتة والتي آمنت بها جميع الفلسفات التي سبقتها وخاصة الدينية منها.
- البراغماتية لا تقدم لنا بحثاً إيجابياً عن الحقيقة، لأنها ليست إلا منهجاً لاكتشاف الخطأ والأفكار الخاطئة، وهي الأفكار التي ليس لها آثار عملية، فهي بحث سلبي عن الحقيقة وليس بحثاً إيجابياً، فإن كانت هذه الأفكار لها آثار عملية هي الأفكار الصحيحة من وجهة نظر البراغماتية.
- ترفض التخطيط للعملية التعليمية ومراحلها بحيث لا تتبع المقالات والفصول لتنظيم العملية التعليمية (محمد منير مرسى، 1982، ص195).

**خلاصة:** لقد قدمت الفلسفة البراغماتية كغيرها من الفلسفات الكثير في المجال الفكري التربوي، واستطاعت أن تسمو بالتربية وأهدافها من حيث التغيير الدائم الذي انطلقت منه، ومن خلال التركيز على الأفكار الصالحة والمنفعية والتي نستطيع الاستفادة منها في حياتنا اليومية، كما من خلال المناهج الدراسية التي استندت إليها وشروطها التي جعلت من الربط بين الميول والرغبات للفرد المتعلم مركزا مهما في تقرير المناهج، ومع ذلك كله فلقد تعرضت الفلسفة البراغماتية للعديد من الانتقادات التي وجهت لفلاسفتها وروادها لأجل تركيزهم على الأساس المنفعي، وكذا لأنها اعتبرت بأنها لا تقدم بحثا إيجابيا عن الحقيقة، ولكن هذه الانتقادات لا تقلل من الدور الذي قدمته هذه الفلسفة.

## قائمة المراجع:

- 1- فاخر عاقل (1974)، التربية قديمها وحديثها، دار العلم للملايين، بيروت.
- 2- نعيم حبيب جعنين (2004)، الفلسفة وتطبيقاتها، دار وائل، عمان، الأردن.
- 3- ابراهيم ناصر (2001)، فلسفات التربية، دار وائل، الأردن.
- 4- شبل بدران أحمد فاروق (2000)، أسس التربية، الاسكندرية، دار المعرفة.
- 5- محمد منير مرسي (1982)، فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها، عالم الكتب، القاهرة.
- 6- عمر محمد التومي الشيباني (1982)، تطور النظريات والافكار التربوية، الدار العربية للكتاب، تونس.

### المحور الرابع: الفلسفة الوجودية

**تمهيد:** الفلسفة الوجودية بلا شك هي من أكثر فلسفات القرن العشرين شهرة وشعبية في أرجاء عديدة من عالمنا المعاصر، وأخذ الناس يقرؤون كتابات الوجوديين في شغف بالغ وإعجاب كبير، وأخذت الصيحات المتحمسة ترفع لآرائهم تأييدا. ولعل من بين الأسباب التي ترجع إليها سرعة انتشار هذه الفلسفة وشعبيتها بين المثقفين وإنصافهم تلك الطريقة التي كان يعبر بها بعض كبار الفلاسفة الوجوديين عن أفكارهم أدبيا من خلال الروايات والمسرحيات (محمد مهران رشوان ومحمد محمد مدين، 2012، ص 89).

ويعتبر كثير من الباحثين أن كل من كتاب (الوجود والزمان) لـ: "هايدجر"، و(الوجود والعدم) لـ: "سارتر" أهم كتابين في الوجودية. والوجودية إسم مشتق من لفظ الوجود والمقصود به هنا بشكل عام: الوجود الإنساني المشخص، الوجود الفعلي للفرد الإنساني، والمشكلات الفعلية للإنسان، وعلاقته بغيره من أفراد الناس والمجتمع الذي يعيش فيه، وحرية الإنسان ومصيره ومعاناته، والمواقف الشخصية التي يتعرض لها، وتجاربه الحياة التي يمر بها، إلى آخر تلك المشكلات التي تدور حول الإنسان الفعلي المشخص (محمد مهران رشوان ومحمد محمد مدين، نفس المرجع، ص 99).

#### 1- رواد الفلسفة الوجودية:

- **سورين كيركجارد (1813-1855):** فيلسوف دنماركي يعتبر مؤسس الفلسفة الوجودية، مؤلفاته خليط من الاعترافات العاطفية الشخصية، والتأملات الفلسفية، والمقالات الأدبية نذكر من بين أهمها: المظهر الجمالي في (إما/أو-الجزء الأول) وهو مفارقة ساخرة للرومانسية الألمانية، وكان ذلك في سنة 1843م، وكذا أخرى بعنوان مدارج الحياة وكان سنة 1845م، وقد وجدنا أنه ترجع النظرة الأساسية للفلسفة الوجودية للاهوتي والفيلسوف الدنماركي كيركجارد الذي رفض الفكر الهيجلي، الذي لا يعبر عن الذاتية ويهدر الحرية

الفردية وبالتالي يقضي على الوجود الذي جاءت تهتم به الوجودية(سماح رافع محمد، 1973، ص118).

وكما نجد أن الفيلسوف كيركجارد يعتبر البذرة الأولى للوجودية؛ بحيث أنه أول من استخدم هذه الكلمة بمعناها الفلسفي، وبين بقوله الذي جاء كرد على من اعتبر أن قول ديكارت حول الكوجيتو "أنا أفكر إذا انا موجود" هو أن ديكارت جعل العقل وسيلة للتفكير، فالإنسان عندما يستخدم عقله في التفكير يكون إنسانا موجودا مفكرا ومبدعا، أما الفيلسوف الوجودي المعاصر سورين كيركجارد فيرى عكس ذلك بحيث يرد قائلا: "كلما ازدادت تفكيرا قل وجودي أو أنا أفكر فأنا لست موجودا" وأراد أن يؤكد أن الإنسان موجود من خلال المواقف التي يجد نفسه منخرطا فيها(يحي هويدي، 1993، ص122).

- كارل ياسبريس(1883-1969): فيلسوف ألماني من الفلاسفة الوجوديين المعاصرين، من أهم مؤلفاته الموقف الروحي للعصر في 1931م، ومؤلف آخر بعنوان العقل والوجود وكان في 1932، وقد كانت له كذلك وجهة نظر حول صياغة الفلسفة الوجودية فنجد أنه يرى بأن الفلسفة الوجودية جاءت لتهتم بالعديد من المشاكل والتي أهمها مشاكل الفرد من التأمل وهذا ما أكده في قوله: "موت فلسفة الموجود لأنها تغلق علينا وتجعلنا ندمر ذاتنا حين نجد أنفسنا نسير في ممرات مغلقة وطرق مسدودة لأنها تهتم بمشاكل تتصل بالتأمل الفردي". كما أكد بقوله أن الوجودية ارتبطت بقضايا والتي اعتبرت ركيزة بنيت عليها أساسها في الوقت التي كان قد انتشر فيه القلق والخوف في المجتمعات جراء الحروب والقسوة، وإهمال حقوق الإنسان، وقد جاء قوله كالتالي: "لأنها ترتبط بقضايا القلق والخوف واليأس ولاهتمامها بهذه المشاكل عرف الوجود الإنساني على أنه وجود قلق منغلق على نفسه. كما نجد أن الفكر الوجودي لياسبريس يقسم الوجود إلى ثلاثة أقسام؛ يرى بأن أول قسم في الوجود وهو العالم الذي هو موضوع العلم، أما ثاني قسم وهو الأنا في ذاتيتها الخاصة والتي



تصلح لها كلمة الوجود صلاحاً تاماً، وثالثاً وهو الوجود الأعلى الذي هو وراء الأنا والعالم والذي يطلق عليه الفلاسفة إسم الله . و هنا نلمس ونرى الجانب الاتجاه الذي هو ينتمي إليه أي الاتجاه المؤمن من الفلسفة الوجودية(الثل معيد وآخرون، 1982، ص102).

- **جابريل مارسيل(1889-1973):** هو وجودي مسيحي كاثوليكي، في كثير من المواقف يعتبر الفيلسوف جابريل مارسيل أنه لا يوجد أي تناقض بين المسيحية وبين الوجودية، واعتبرها شيء واحد، ويعترف مارسيل بتأثير الذات الإلهية الموجود الأعلى التي يشاركها في الوجود على نفسه وفي توجيه نحو وجوده(علي عبد المعطي، 1997، ص252).

وهو يؤمن بكل وجودي بأن الفرد الإنساني هو الذي يقرر مصيره ويبدع في ماهيته الفردية والماهية بالنسبة له هي الشيء الذي داخل نطاق الوعي. أما فيما يخص نظرتة للوجود يرى أنه بإمكان التمييز بين الوجود الموضوعي، وبين الوجود عند النظر إلى المعطى الأساسي للوجود، وهو التجسيد، حيث يعتبر أنه لا يمكن تحديد العلاقة القائمة بين جسد وذاته، لا من حيث اعتبار تلك العلاقة وجود، أو علاقة تملك فالمرء عاجر عن تحقيق التطابق مع جسده(مجموعة من المؤلفين، 1989، ص104)

- **مارتن هيدغر(1889-1976):** فيلسوف ألماني، يعتبر أحد المتميزين في الفلسفة الوجودية، أهم مؤلفاته: ما الميتافيزيقا، وفي عام 1927م ظهر الجزء الأول من كتابه الوجود والزمان الذي يعتبر من أعظم وأهم كتبه وذلك في المجلد الثامن حول "الفينومينولوجيا والبحث الفينومينولوجي" وترجع أهمية الوجود والزمان الى أصالة الطريقة التي عالج فيها هيدغر مشكلات الفلسفة الأساسية، وإلى المفاهيم الجديدة التي كشفت عنها دراسة هيدغر الأنطولوجيا لمقاومات الوجود الإنساني أو الآنية، ويمكن القول أن "الوجود والزمان"، يعد من أهم الأعمال الفلسفية التي ظهرت في العصر، فيعد هذا المؤلف بداية انقلاب جديد في التفكير الفلسفي، وقد امتد تأثيره من المشتغلين بالفلسفة إلى دوائر العلماء والأطباء والأدباء

والشعراء ويمكن القول بأن هذا الكتاب هو أعظم تحليل للوجود البشري ظهر في الفلسفة الوجودية على امتداد هذه الحركة كلها. وقد اعتبر هيدغر أن مهمة الفيلسوف هي إيضاح معنى الوجود، حيث يجب على الإنسان أن يسأله أو يطرحه على نفسه ليصبح إنساناً، لأنه من يبحث في الوجود، نعم إنني لست أنا الوجود إلا أنني مع ذلك موجود وأشارك في الوجود، فالموجودات سابقة الوجود (إبراهيم أحمد، 2006، ص70).

- **جان بول سارتر (1905-1980):** تعتبر هذه الشخصية من أهم الشخصيات، لأن بحثنا يركز عليها فسوف نتعرف على هذا الفيلسوف، جان بول سارتر فيلسوف وأديب فرنسي، ينتسب إلى المذهب الوجودي ولد في باريس في 11 يونيو 1905 بباريس، توفي والده الذي كان ضابطاً في الجيش الفرنسي عقب مولده بثمانية أشهر، واتخذت أمه زوجاً آخر وهو في سن الحادية عشر، تلقى سارتر تعليمه في مدرسة المعلمين العليا وتخرج منها سنة 1929م، مارس تدريس الفلسفة بين عامي (1931-1945) ومن خلال هذه الفترة اشترك في الحرب العالمية جندياً، ثم أسير حرب عام 1940م، وفيما بين (1936-1940) كان قد نشر ثلاثة أبحاث حاول فيها تطبيق منهج هوسرل الظاهري على الخيال والانفعالات، وما إن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها حتى كانت شهرة سارتر قد طارت بوصفه "زعيم الفلسفة الوجودية".

حيث توالفت في هذه الفترة مسرحياته ورواياته الوجودية التي ضمنت له مكانة خالدة في تاريخ الأدب الفرنسي، إضافة إلى ذلك كانت له مواقف سياسية هامة عبر عنها في افتتاحيته ومقالاته التي نشرها في مجلة العصور الحديثة، وكان لتزايد اهتمامه بالسياسة واتخاذ عدة مواقف تقرب بينه وبين الحزب الشيوعي الفرنسي، أثر في تفكيره الفلسفي، إذ حاول في عمله الفلسفي الكبير الذي يعد آخر أعماله في هذا المجال وهو كتاب "نقد العقل الجدلي" الذي صدر في 1960، أن يوفق بين النزعة الفردية التي اتسم بها موقفه الوجودي

الأصيل وبين النزعة الجماعية. وبعد صراع مع المرض دام عشر سنوات تقريباً كانت وفاته سنة 1980، بعد أن ترك تراثاً أدبياً وفلسفياً وسياسياً نذكر أهم مؤلفاته كالتالي: الروايات: الغثيان سنة 1938، الجدار ظهرت بعنوان قصص سارتر القصيرة 1939م، سن الرشد وهي الجزء الأول من الرواية الثلاثية دروب الحرية، الحزن العميق في 1948م. المسرحيات: فنجد الذباب في 1944م، مسرحية موتى بلا قبور في 1946م، مسرحية الأيدي القذرة في 1948م (علي عبد المعطي، مرجع سابق، ص 260).

- **ألبير كامو (1913م-1960م):** فيلسوف وكاتب فرنسي يعدّ من أبرز ممثلي الفلسفة الوجودية المُلحِدة نال جائزة نوبل عام 1975م، أهم أعماله: كتاب أسطورة سيزيف ورواية الطاعون وكتاب الإنسان المتمرّد، تشكلت معظم آراء كامو بتأثير كبير من فلسفة شوبنهاور، نيتشه، والفلاسفة الوجوديين الألمان، يرى كامو أن العالم الخارجي ما هو إلا حالة من حالات الذات، وتعد قضية الانتحار القضية المركزية في كتابات كامو، والإنسان في نظره كائن يعيش في عبثية، ويواجه مواقف عبثية طويلة وجوده، وتتجلى النزعة الفردية واللاعقلانية في أعمال كامو إلى حدّ متطرّف (سماح رافع، مرجع سابق، ص 121).

2- **أصول الفلسفة الوجودية:** نستطيع أن نميز عدة أصول كانت بمثابة الجذور التي قامت عليها شجرة الوجودية. وتضم هذه الأصول بعض الأصول الاجتماعية والتاريخية والفكرية. ويمكن أن نجملها بوجه عام على النحو التالي:

- عاشت أوروبا خلال القرن العشرين حربين عالميتين مدمرتين، راح ضحيتها الملايين من البشر وما ترتب على ذلك من التفتت الاجتماعي والتفكك الأسري والضيّق النفسي الذي سيطر على الناس وغير ذلك من الآثار التي خلقت جوا مشحوناً بالتوتر والقلق، هذا الجو دفع بعض المفكرين إلى البحث عن مشكلة الإنسان، وجوده، وحياته، وموته، وعلاقته بغيره من الناس والمجتمع، وبحريته ومسئوليته.

- إن التقدم العلمي الهائل وما ترتب عليه من آثار اجتماعية كبيرة وخطيرة كان من العوامل الهامة في ظهور الأفكار الوجودية وانتشارها، وخاصة في التعامل مع موضوع خطورة انتشار الآلة في الحياة الإنسانية وتهديدها للوجود الإنساني الفردي المتميز؛ وقد كرس "جبريل مارسيل" فصلا كاملا من كتابه (سر الوجود) للحديث عن خطر الحياة الآلية الذي يهدد حياتنا الشخصية في عالم التنظيمات الاجتماعية المتزايدة والذي سماه بالعالم المحطم. بفعل البيروقراطية التي استعاضت عن الإنسان الفرد ببطاقة هوية ليصبح مجرد مجموعة وظائف يمكن أن يقوم بها أي مخلوق آخر بدلا منه؛ وعالم يمثل هذا التوصيف كفيل بالقضاء على القوى الإبداعية الشخصية.

- لم يسلم الوجوديون بما زعمه فلاسفة العقل قبلهم بأن العقل قوة مطلقة قادرة على حل جميع المشكلات، ووقفوا مع القائلين بأن قوى العقل محدودة ولا يمكن أن يقدم لنا تفسيراً لجميع أمور الواقع وعلى رأسها الأمور الإنسانية.

- يرى الوجوديون أن إخضاع الإنسان للبحث التجريبي كما هو إخضاع الأشياء المادية والتعامل معه بذات الطريقة الإحصائية الرياضية، تجعل منه مجرد شيء لا يختلف عن بقية الأشياء الطبيعية.

- ينظر الوجوديون للإنسان بوصف جوهره ذات طبيعة متطورة، وإن التجربة الإنسانية تجربة تنبض دائما بالحياة، لذلك ثار الفلاسفة الوجوديون على تلك الاتجاهات العلمية التي حاولت محو إنسانية الإنسان وخبراته الحية، ورأوا أن الإنسان طبيعته الخاصة التي ينبغي أن نعالجها بطرق تتفق معها بالعودة للواقع الإنساني والوجود الإنساني الحي.

- انتشرت بعض المذاهب الفلسفية والعلمية في القرن 18 حاولت أن ترسخ في الأذهان فكرة المطلق في العلم لدى "نيوتن" والمطلق في الفلسفة لدى "هيجل" كان لهذه الجهود أن دفعت بعض المفكرين الوجوديين للرد عليها بوصفها تعمل على محو شخصية الإنسان الفرد وحقيقته الوجودية الفعلية؛ وهكذا ثار عدد كبير من المفكرين على تلك الفلسفات المثالية التي

نادت بفكرة المطلق، حتى يعيدوا للإنسان الفرد شخصيته، ويفسروا تجاربه الإنسانية الحية؛ وبذلك ركزوا على التجربة الإنسانية الفردية الحية التي تتمتع باستقلال ذاتي، وخصوبة لا نظير لها في المخلوقات الأخرى (محمد مهران رشوان ومحمد محمد مدين، 2012، ص 91-97)

### 3- مبادئ الفلسفة الوجودية:

- انصبت معظم اهتمامات الفلاسفة الوجوديين على المشكلات الوجودية للإنسان، مثل معنى الحياة والموت والمعاناة والمصير؛ وباختصار كل ما يتصل بمشكلات الوجود البشري.
- يشترك الوجوديون في القول بأن الوجود الإنساني واقعي بشكل مطلق، وهو واقع متجدد في كل لحظة، يخلق ذاته بشكل مستمر؛ وهو مجرد مشروع يزداد تحققا في كل لحظة، بحيث يظهر في كل لحظة أكمل من اللحظة السابقة عليها؛ وبرأيهم أن الإنسان هو الذي يخلق ذاته بحرية كاملة؛ بل إن الإنسان عندهم مرادف لحيته .
- يأخذ الوجوديون ما يسمى بالوجود بوصفه الموضوع الرئيسي الذي ينبغي البحث فيه، إلا أنهم يختلفون في معناه وإن كانوا يتعاطون معه كنمط إنساني خالص.
- ينظر الوجوديون للإنسان كواقع مفتوح وغير كامل ومندمجا بالواقع بما فيه من ناس وعالم، وهذا الارتباط هو الذي يعطي الوجود صفته الخاصة، وهذا هو معنى (المعية) عند "هيدجر" و(التواصل) عند "ياسبرز".
- ينكر الوجوديون التمييز بين الذات والموضوع وهو يرفضون كافة أشكال التفكير المجرد، والفلسفة المنطقية، والعلمية الخالصة؛ وباختصار ترفض الوجودية (مطلقية العقل) وتؤكد في مقابل ذلك أن الفلسفة ينبغي أن تتعلق بحياة الفرد وتجربته الخاصة وبالموقف التاريخي (أو السياق) الذي يجد نفسه فيه.(محمد مهران رشوان، ومحمد محمد مدين، 2012، ص-ص 99-103).

#### 4- التطبيقات التربوية للفلسفة الوجودية:

- **الأهداف التربوية:** يتم اختيار الهدف التعليمي في المدرسة الوجودية من قبل الطلبة أنفسهم في ضوء احتياجاتهم ومفاهيمهم ويمكن للكبار مساعدة الطلبة بصورة إرشاد فردي للتعرف على ما يتعلمونه، من خلال حوار حر مع المتعلمين لتحريك دوافعهم وتنويع الاختيارات أمامهم، ويترك للمتعلمين حرية الاختيار وتنظيم الأهداف بما يحقق رغباتهم وينمي شخصياتهم الذاتية.

ويركز الوجوديون في هذه الأهداف على تطوير عادات إدراكية، عقلية تتمثل في التنظيم، والقدرة على النقد، والقدرة على الإنتاج، كل ذلك من أجل إخراج الفرد من حالته الراهنة إلى حالته الوجودية التي تعلو عن الأولى بسبب إنماء ذاته وتشكيل جوهره الأصلي الذي يجعل منه شخصا متفردا وواعيا لظروفه، وملتزما بصورة ايجابية نحو وجود له معنى. إضافة إلى أهداف أخرى للتربية في الفلسفة الوجودية ومنها: معرفة الذات وتنمية الوعي الفردي، والإحساس بالمسؤولية الذاتية، والالتزام الذاتي، وإتاحة الفرصة للاختيارات الأخلاقية المطلقة، وإيقاظ الشعور بالالتزام الذاتي طيلة الحياة، من أجل صناعة نفسه (محمد محمود الخوالدة، 2013، ص94).

- **المعلم:** إن أهم وظيفة للمعلم في الوجودية هي أن يقدم المساعدة السليمة للمتعلم من أجل تحقيق ذاته، عن طريق ما يثيره من مثيرات حول المتعلم تتلاءم مع احتياجات المتعلم بصورة ايجابية وتساعد على تحرير نفسه من أجل أن يكون شخصا مستقلا يسعى لتحقيق ذاته بكل شجاعة وسط البيئة التي يتفاعل معها، وأن يكون المعلم لطيفا مع التلاميذ، والعمل على تدعيم حريتهم وتكوين شخصيتهم بصورة دائمة. وعلى المعلم أن لا يعنف التلاميذ أو يعمل على إذلالهم، بل ينبغي أن يتصف بالحكمة والصبر والشفافية والعدالة الإنسانية حتى يكون مؤثرا في تكوين حياتهم (محمد محمود الخوالدة، نفس المرجع، ص95).

- يرفض الوجوديون المفاهيم التقليدية الخاصة بالعلاقة بين المعلم والتلميذ؛ فالمعلم موجود في الفصل لا كشخصية مثالية ينبغي تقليدها كما في المثالية، أو لنقل المعلومات كما في الواقعية، أو كمستشار في مواقف حل المشكلات كما في البراجماتية؛ انما تكمن وظيفته الأساسية في مساعدة الطالب بصورة فردية في نحو تحقيق الذات، وإن تأثير المعلم الجيد على الطالب يمتد إلى حياته الراشدة، وكم من أناس متقدمين في السن يتذكرون باحترام معلمهم القدامى الذين ألهمهم يوما ما. (مرسي، 1983، ص217) فوظيفة المعلم إثارة ميل المتعلم وذكائه، وتهيئته لاكتشاف العالم، ومعرفة كيفية التعامل، وأن يحافظ على الحرية الأكاديمية، ويساعد المتعلم على الاستمرار في التعلم لاكتساب خبرات جديدة من خلال مراعاة الفروق الفردية في الشخصية وفي الاهتمامات. (جعيني، 2004، ص242)

- على المعلم تجنب إذلال المتعلم، أو جعله موضع سخرية من زملائه، وإذا عوقب فينبغي أن لا يكون العقاب مركزا حول سلب احترام الطفل لإنسانيته، ويجب على المعلم ألا ينشد إذلال تلميذه أو يجعله موضع سخرية حتى لو ارتكب ذنبا كبيرا، وانما عليه أن يوضح له خطأه، وإذا اضطر إلى معاقبته فليكن ذلك بطريقة تحفظ عليه كرامته واحترامه. كما أن على المدرس ألا يوبخ التلاميذ الأكثر تخلفا، بل عليه أيضا أن يحفظ عليهم كرامتهم لأن أهمية التربية بالنسبة لهم كما هي بالنسبة لباقي التلاميذ ليست في مقدار ما يتعلمونه وانما في كيفية الاستفادة مما تعلموه حتى ولو كان قليلا، وإذا ما استطاع التلاميذ استخدام المعلومات القليلة التي اكتسبوها في زيادة حريتهم الشخصية ومعرفتهم لأنفسهم؛ فانهم يكونوا قد فعلوا الشيء المرغوب والسليم. (مرسي، 1983، ص217).

- لا تهتم الوجودية بالامتحانات في ذاتها بقدر الاهتمام بتشجيع المتعلمين على استعمال ما تعلموه من أجل تحقيق ذاتهم وحريتهم، لذا على المعلم أن يدرك أن أهمية المعرفة ليست

أكثر من أهمية الإنسان، فالمعرفة ليست غاية في ذاتها بل هي وسيلة لتحقيق فردية المتعلم. فمن هذا المنطلق ترى الوجودية أن على المعلم عند عرض مادة الدرس أن يقدم وجهات نظر متعددة، ويتجنب فرض وجهة نظر خاصة، فعليه مناقشة الموضوع، ثم عرض أفضل وجهة نظر حسب رأيه، ثم يسأل المتعلم عن مدى قبوله، تاركا له الحرية في القبول أو الرفض؛ مما يشعره بالثقة في معلمه، وينشأ الاحترام المتبادل بين المعلم والمتعلم. (جعيني، 2004، 242).

- **المتعلم:** يتحمل الطالب في الوجودية مسؤولية البحث في تحقيق ذاته، ويتخذ المبادرات الشخصية فيما يتعلق بإنمائها وتفاعله الاجتماعي بهدف الارتقاء العاطفي والعقلي والجسمي والتعرف على الآخرين عن طريق الحوار الحر الذي يساعده في بناء وجوده الذاتي، والبحث عن الخبرات والأسئلة المتعلقة بأحوال الوجود الإنساني، والمشاركة الإيجابية في المواقف التي تتصل بموضوعية المعرفة، والبحث عن الخبرات التي تساعده في بناء وجوده الذاتي، والتغلب على حل المشكلات التي تواجهه في الإحباط لأنها لا تساعد على تحقيق الذات، وأن يتعلم ما يفيد في تحقيق مبادئه الذاتية، وأن يقاوم الخوف والرضوخ للجماعة، وأن يتحلى الوجودي بالشجاعة من أجل تحقيق ذاته. وعلى الطالب أن يتوافق مع الطلبة في الصف ويشاركهم الانتباه من أجل التعلم وتنمية الذات.

وعليه أيضا أن يكون حذرا من الخضوع إلى المادة التعليمية بل عليه أن يخضع المادة التعليمية إليه، لكي يتمكن من الاستفادة منها في الفهم وتحقيق الذات، وأن يفكر بطريقة إبداعية ويستجيب بطريقة ذكية تربط بين الأحداث والمعاني في البيئة التي يتعايشون فيها (محمد محمود الخوالدة، نفس المرجع، ص95).

- **المناهج التربوية:** ليس هناك منهاج محدد للطالب الوجودي، ولكن المهم أن تكون المادة الدراسية التي تشكل المنهاج ذات معنى للفرد من أجل أن يحقق الشخص ذاتيته، وأن يعالج



بها الإشكالات الإنسانية، ويركز المنهاج على التعبير الحر، والحياة الصادقة والفنون الجميلة والآداب وكل ما يشجع على البدائل السلوكية، وقبول المسؤولية لنمو الذات ونمو المعرفة، والعواطف، والاتجاهات. وعلى المنهاج الوجودي أن يسهم في تحقيق الوجود الذاتي للفرد. ويصمم المنهاج في المدرسة الوجودية للتعليم الفردي ومساعدته في البحث عن ذاته، وتزويده بالمهارات اللازمة للبحث والحوار والتجريد والإبداع وفهم المعاني (محمد محمود الخوالدة، نفس المرجع، ص96).

- أساليب التدريس: تعترض الوجودية على أساليب التعليم التي تتمط الطلبة وتجعلهم سلبيين لغايات الحفظ والاستذكار والتلقين، وتعنى بإنماء الحالات الفردية والحرية والحوار وتقديم المعاني التي تساعد الأفراد على التطور والنماء بصورة فردية، والأساليب التي تثير التفكير وتنوع الاختيارات والبدائل، وإعطاء الحرية للطلبة ليختار كل منهم ما يعتقد أن هذه المعرفة والمعنى أكثر صدقا لتحقيق ذاته، وأفضل الطرق هي الطريقة التي يستخدمها سقراط (التي تقوم على توجيه الأسئلة والاستدراج حتى الوصول إلى القناعات الشخصية بارتباطها بما يحقق ذاته)، ويستخدمون اللعب الحر لأنه يتفق مع البحث عن الإبداع وفيه يفرض الطالب ذاته على معطيات اللعب، ويؤكدون على أساليب التعليم الفردي بدلا من الجماعي من أجل مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة، ويؤكدون على تنوع الأساليب وتنظيم المادة من أجل مواجهة احتياجات الأفراد الذاتية (محمد محمود الخوالدة، نفس المرجع، ص96).

- تهتم الوجودية بالطرق السقراطية في التدريس باعتبارها أنسب الطرق؛ لما تحتويه من استقراء وفهم الإنسان لنفسه باعتمادها على الحوار والتفاعل. وترفض طريقة حل المشكلات التي نادى بها الفلسفة البراجماتية؛ لأن اختيار المشكلة مسألة تهم المتعلم لا بصفته فردا بل بصفته كائنا اجتماعيا. وتعزل فردية احساسه الوجداني ومشاعره لتصبح

خاضعة لعقل الجماعة وأحكامها، أما في الطريقة السقراطية فإنها تنمي عند المتعلم القدرة على النقد وحرية التعبير والابتكار.

- تعطي الوجودية أهمية إلى اللعب، فسارتر مثلا يفضل قيمة اللعب على الجدية، لأن اللعب يفتح المجال للابتكار، ولا ترى الوجودية أهمية اللعب الجماعي لأنه يخلق المنافسة، وتصبح قيمته محددة في الكسب أو الخسارة. (شفشق، 1982، ص ص 110-112).

- **طرائق التقييم والاختبارات:** يتم تقييم الطلبة في ضوء المصلحة الخاصة بالطالب، ويستخدمون الحوار وعمل الطالب وقياس ما تعلمه في سبيل تحقيق شخصيته الذاتية، وبناء وجوده الذاتي أو طرق البحث عن الذات، وكيفية الإجابة عن أسئلة بأحوال الناس وتكوين ذواتهم، وكذلك عن طرق البحث والإبداع ومناقشة طرق مواجهة الذات وتشخيص درجة الإتيان لأهمية الأشياء في النمو الفردي والإسهام في عملية تكوين الوجود الذاتي (محمد محمود الخوالدة، نفس المرجع، ص 97)

**5- بعض الانتقادات الموجهة للفلسفة الوجودية:** عموما يمكن القول أن الفلسفة الوجودية تركز على الفرد وتعطيه الحرية في الاختيار وتحرره من كل التبعات التراثية والالتزامات الاجتماعية الخارجة عن ذاته، والمهم عندها أن يبحث الفرد عن تحقيق جوهره في الوصول إلى ذاته الأصلية، وكأن هذه المدرسة لا تسعى إلى تحقيق عالم جمعي بقدر ما هي معنية بالأفراد الذين لكل منهم ذاتيته وشخصيته وحرية وتفاعلاته الفردية، دون أي اعتبار للآخرين من حوله ما دام هو يسعى إلى تحقيق أصالته عبر مشواره في هذه الحياة، وكأنها تحرر الإنسان الفرد من أية ثقافة اجتماعية مسبقة، لأنها تسعى إلى تحقيق أفراد لكل منهم ذاتيته وشخصيته، ويترتب على هذا أن يعيش الوجودي لذاته وليس من أجل المجتمع.

كما ينظر للوجودية بوصفها نزعة فردية متطرفة، تحصر الإنسان في ذاتيته الفردية ولا تعير اهتماما يذكر بالمجتمع وبالإنسان من حيث هو إنسان.

فالفلسفة الوجودية ذات نزعة تشاؤمية انهزامية، تشدد على أن الإنسان مقذوف به في هذا العالم رغما عنه، ويترك هذا العالم رغما عنه، ويعيش حياته كلها في ضجر وقلق وندم ويأس؛ وهكذا ينتهي الأمر بالوجودية وخاصة الملحدة منها إلى العدم.

ينطوي مفهوم الحرية عند الوجوديين على كثير من المفارقات؛ فالحرية عندهم تبدو وكأنها مطلقة تقترب من الفوضى وهي على تضاد كامل مع المبادئ والقيم سواء السياسية أو الاجتماعية منها أو الدينية.

وكأن الوجودية تنشد خزي الإنسان، وتظهر في كل مكان ما هو قذر ومريب، وتهمل الجانب النير المضيء من طبيعة الإنسان في زاويته الجميلة الضاحكة، فهي تنسى الجمال في الأشياء، وتنسى ابتسامة الطفل البريء، ولا ترى في الحياة إلا جانبها المظلم.

وحاولت الوجودية وبخاصة الملحدة منها - وهي الأكثر انتشارا - القضاء على القيم الروحية بإلغاء الدين ومبادئه، مكتفية بالإنسان وحرسته.

- تتجلى خطورة الفلسفة الوجودية في كون تأثيرها يمتد حتى عصرنا الحاضر، حيث يلاحظ أنها قد الوجودية على التربية قد أثرت في كثير من النظم التربوية والتعليمية في العالم. وكان تأثيرها وصداهما جزئيا في بعض البلدان مثل الأخذ بفكرة المدرسة بدون فصول دراسية في المرحلة الابتدائية، أو في توزيع التلاميذ على مستويات في المادة الدراسية الواحدة، والاهتمام بالتدريس الفردي وتشجيع التعلم الذاتي؛ ولكن كان أثر الاتجاهات الوجودية في التعليم الجامعي أكبر من تأثيرها في التعليم العام، وخاصة في التعلم عن بعد، والتوسع في نظام الاختيار في المواد الدراسية والدراسات المستقلة، وفتح باب القبول في التعليم الجامعي دون شروط المستوى المحدد بنظام، والإيمان بحرية المتعلم ومسئوليته فيما يتعلمه، وأصبح من حق الطلبة في بعض الجامعات المشاركة في تحديد محتوى المواد التي يدرسونها والمساهمة في تقييم مدرسيهم. (فرحان، 1989، ص100)

- فمن الأهمية بمكان التأكيد على أن الوجودية رغم تكريمها للإنسان واحترامها لذاتيتها؛ إلا أنها عملت على تحرير الإنسان تحريرا مطلقا من الاحترام والتقدير لأية قيمة أو دعوة مهما كان مصدرها.
- وفيما يتعلق بالتربية فعلى الرغم من نجاح بعض التطبيقات التربوية في بعض المدارس على مستوى إلا أننا لا نستطيع التأكيد على نجاح تطبيقاتها التربوية على جميع المدارس وجميع الثقافات.
- وقد وجهت انتقادات للكثير من هذه الممارسات فيما تعلق بمراحل التعليم الأولى، إذ اعترض النقاد على أن الطفل في هذه المرحلة لم يكتمل نضجه للمشاركة بوعي كامل في اتخاذ القرارات وصنع نفسه، بالرغم من وجهات النظر المطالبة بحرية المتعلم في هذه المرحلة للتعبير عن آرائه .
- الوجودية تلقي مسؤوليات كبيرة على إدارة وتنظيم العملية التعليمية - التعليمية، حيث ترى أن الفرد بمفرده يشكل نظاما تعليميا؛ مما يجعل المدرسة عبارة عن مجموعة أنظمة متضاربة الذي يؤدي إلى الفوضى؛ وتصبح إدارة المدرسة عاجزة عن تحقيق الأهداف المرجوة، ناهيك عما يتطلبه هذا الواقع من توفير إمكانات كبيرة؛ لتسمح لكل فرد أن يحقق ذاته. كما وجهت إليها انتقادات على نزعتها الفردية أكثر من التأكيد على العمل الجماعي.

## قائمة المراجع:

- 1- محمد مهران رشوان ومحمد محمد مدين (2012)، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، دار الميسرة، الأردن.
- 2- سماح رافع محمد (1973)، المذاهب الفلسفية المعاصرة، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- 3- يحي هويدي (1993)، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة، القاهرة
- 4- النل معيد وآخرون (1982)، المرجع في مبادئ التربية، دار الشروق، عمان، الأردن.
- 5- علي عبد المعطي (1997)، أعلام الفلسفة الحديثة، ط5، دار المعرفة الجامعية، القاهرة.
- 6- مجموعة من المؤلفين (1989)، معنى الوجودية، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
- 7- إبراهيم أحمد (2006)، إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدغر، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر.
- 8- محمد محمود الخوالدة (2013)، فلسفات التربية التقليدية والحديثة والمعاصرة، دار المسيرة، عمان، الأردن.

## المحور الخامس: الفلسفة الطبيعية

**تمهيد:** إن موضوع بحث الإنسان إما أن يكون الطبيعة بأضيق معانيها؛ ونعني بها مجموعة الأشياء المرئية المدلول عليها بكلمة "العالم"، وإما العقل ونعني به القوة التي بها ندرك ونعلم ونتأمل ذلك العالم، وقد شوهد أن ما تقع عليه حواسنا أكثر شيوعا لنظرنا من المدركات العقلية المجردة، فإن الأخيرة نتيجة تأمل ناضج لا يكون إلا متى كان للعقل قدرة على التأمل في نفسه، فالطفل أول ما يتذكر إنما يتذكر أسماء الأشياء التي تتميز بلونها أو ثقلها أو صوتها ونحو ذلك؛ لذا كانت المباحث الفلسفية الأولى تدور حول المرئيات فكانت أهم مسائلهم البحث عن كل المظاهر التي تقع عليها حواسنا، كل هذا يندرج ضمن مسائل موضوع ما يسمى الفلسفة الطبيعية والتي تعد بدورها امتدادا للفلسفة الوجودية التي لطالما كانت مصب اهتمام الكثير من الفلاسفة والمفكرين وفي هذا السياق نتساءل: -ماذا نعني بالفلسفة الطبيعية؟ وما أبرز مبادئها وتطبيقاتها التربوية؟ وما أهم الانتقادات الموجهة لها؟

**1- تعريف الفلسفة الطبيعية:** هي فلسفة مادية تركز على المبدأ القائل "أن الطبيعة تقوم على التغيير، وأن كل ما فيها يتغير ويتحرك وليس فيها شيء ساكن" فالسكون عند الفلاسفة الطبيعيون هو حالة من العدم، وقد حاولت الفلسفة الطبيعية دحض المفهوم القائل "أن التربية تنحصر في حفظ الكتب واتقان الأسلوب والشكل".

وتتمحور الفكرة الأساسية لهذه الفلسفة حول فكرة "أن الطبيعة خيرة، وأن كل شيء فيها يبقى سليما ما لم تمسه يد الانسان؛ فالطبيعة البشرية تسعى إلى الخير وأن العواطف وهوى النفس هي المحرك الأول ومنبع وأصل جميع الأهواء لدى الفرد وهو حسن وخير والأساس الصحيح الذي يجب أن تقوم عليه التربية والاجتماع.

كما تهتم الفلسفة الطبيعية بالعالم الواقعي وبما تدل عليه الحواس؛ فهي تعطي أهمية لدور الحواس في الوصول الى المعرفة، وأن للعالم قوانين تسيره وتحكمه (عبد الجليل كاظم، المحنة، 2009، ص21)

**2- نشأة الفلسفة الطبيعية:** تعد الفلسفة الطبيعية أول الفلسفات التي نشأت في اليونان وبحثت في السبب الأول للوجود؛ حيث بحثت عن حقيقة الوجود من خلال الطبيعة والعناصر المادية لا من خلال الماورائيات؛ حيث ظهرت كرد فعل على الفلسفات التي سبقتها خاصة الفلسفة المثالية، ويرتبط تاريخ الفلسفة الطبيعية ارتباطا وثيقا بظهور العلوم الطبيعية؛ حيث نشأ هذا المصطلح في عصر ما قبل سقراط عندما بدأ الفلاسفة الأوائل بمحاولة تقديم تفسير منطقي لسبب حدوث الظواهر الطبيعية، في هذه الحالة قاموا بالتحقيق في الحقائق دون الاعتماد على الدين مما أعطى جوا علميا لأفكارهم وفصلهم عن أساطير الالهة اليونانية. (أ.س، رابويرت، 2012، ص24)

### 3- مبادئ الفلسفة الطبيعية:

- تهتم الفلسفة الطبيعية بالعالم الواقعي، وبما تدل عليه الحواس؛ أي أن هذه الفلسفة تُعطي أهمية لدور الحواس في المعرفة، كما تؤمن بأن للعالم قوانين تعمل علي تسييره وتحريكه.  
-تركز الفلسفة الطبيعية على أهمية العناية بتربية الجسم، والعقل والخلق، وأهمية الدور الذي تقوم به الطبيعة في تربية الطفل.

- تؤمن الفلسفة الطبيعية بالمجتمع الطبيعي القائم على العدل والمساواة بين الأفراد، وهي ضد المجتمع القائم على التحكم، والفساد والظلم؛ لذلك ترفض سيطرة الدولة على التعليم وتفضل أن تشرف على المؤسسات التربوية هيئات أهلية بالتعاون مع الآباء، وتتدخل الدولة إذا تأكدت من أن الاطفال لا يتعلمون.

- تؤمن بأن الإنسان خير بطبيعته وفساده يكون بسبب البيئة الاجتماعية التي يتربى فيها.

- ترى في التطبيع عملية سلبية؛ لأنها تعمل على الغاء طبيعة الطفل الأصلية "الخيرة" وتساعده في تعلم أنماط وعادات مخالفة لطبيعته (أ.س رابوبرت، 2012، ص14).
- تنادي التربية الطبيعية بالتربية السليمة؛ أي عدم تدخل الكبار في تربية الطفل وتحدث التربية في سياق الحالة الطبيعية، هذا السياق يساعد الطفل في بناء خبراته ومعلوماته وكيونته الشاملة، واتجاهاته بنفسه بدل أن تفرض عليه إذا ما ترك ليتعلم من الطبيعة.
- ترى الفلسفة الطبيعية في تدخل الأسرة والمجتمع في تربية الطفل كعملية تقتل نمو الفرد؛ فأصدار الأوامر والنواهي من قبل الكبار يقلل من دافعية التفكير لدى الطفل، لذلك توجد ضرورة للممارسة الشخصية، والتجربة والعمل للطفل دون مراقبة أو سلطة خارجية حتى ينمو بشكل طبيعي وفقا لقدراته الذاتية، ميوله ومصالحه.
- تعتبر الفلسفة الطبيعية أن حاضر الطفل أكثر أهمية من المستقبل لذلك النشاط التربوي ينبثق ويبدأ من واقعه، وأثناء هذا النشاط يحدث التكيف والانسجام مع البيئة والنمو الطبيعي لشخصية الطفل.
- ترى الفلسفة الطبيعية بأن الطفل مزود بالاستعداد للتعلم الذي يساعده في اكتساب الخبرة بالممارسة والتجربة في العالم الطبيعي.
- تهتم بمرحلة الطفولة، من خلال تنمية رغبات الطفل وإشباع حاجاته من خلال طبيعته الذاتية بواسطة الممارسة والتجارب الذاتية بتوجيه المعلم.
- تشجع تربية الأطفال على الاستقلالية والحكم الذاتي، وتمنح الأطفال حق المشاركة في وضع القوانين والقواعد التي تحكم تصرفهم في الأنشطة التعليمية.
- يؤمن الفلاسفة الطبيعيون بأن التربية أساسها طبيعة الطفل التي يعتقد أنها خيرة، لذلك تضع الفلسفة الطبيعية المتعلم في محور العملية التعليمية.
- التربية هي عملية إعداد للحاضر وليس عملية إعداد للمستقبل، فالفلسفة الطبيعية تعد الطفل لذاته وللحياة التي يعيشها في الوقت الحاضر.



- تؤمن الفلسفة الطبيعية بأن الطفل في مرحلة نماء مستمرة، وتتكامل خبرة الطفل من خلال النشاط الذاتي واستعمال الحواس وتدريبها، ونمو الطفل يكون في ضوء المراحل النمائية له، والقوانين التربوية التي تعمل على إنمائها بصورة طبيعية.

- تؤكد الفلسفة الطبيعية على أهمية الدراسة العملية والطبيعية، وعدم اعتماد الطفل على الكتب كمصدر أساسي في عملية التعلم، كما تحث على منح وتوفير الفرصة الكاملة للطفل بتعلم ودراسة الطبيعة وأهمية عدم احتكاكه بالأفراد الآخرين في المجتمع (اليماني، 2009، ص15).

#### 4- رواد الفلسفة الطبيعية:

- **جان جاك روسو (1712-1778م):** يعتبر جان جاك روسو كما الرائد الأول لهذا الاتجاه فهو أول من وضع أسسه ومبادئه في القرن الثامن عشر، فهذا المذهب الذي يقوم على الإعلاء من شأن الطبيعة المادية والطبيعة البشرية والدعوة إلى الحياة الطبيعية، والحث من شأن المدنية القائمة في عصره، والدعوة إلى تنظيم المجتمع وإعادة بناء الدين بما يتفق والطبيعة البشرية، والإيمان بالعواطف والمشاعر الإنسانية، والإيمان بالطبيعة الخيرة للإنسان؛ وبوجوب تربية الطفل بما يتفق وطبيعته وميوله وحاجاته الحاضرة ويتمشى بقوانين الطبيعة بصفة عامة.

إن هذا ما ميز الحركة الطبيعية عن غيرها فنلاحظ هنا أن هذه الحركة قلبت الموازين التي كانت سائدة؛ فهذه الحركة أعلنت من شأن الإنسان وراعت عواطفه وهذا ما أهملته الحركات والاتجاهات السابقة وهذا بطبيعة الحال ما ميزها عن غيرها.

كما أن نشوء الفلسفة الطبيعية أيضا جاء كرد فعل على المذهب الإنساني الذي ساد في عصر النهضة، كما يعتبر من أهم فلاسفة ومفكري فرنسا التربويين، ورائد الفلسفة الطبيعية،

وقد ترجم أفكاره التربوية وطرحها من خلال كتابه "إميل" الذي حمل الكثير من القضايا التربوية التي جعلت منه مرجعا هاما في التربية؛ حيث قال في هذا الكتاب " إن كل ما خرج من بين يدي خالق الأشياء حسن خير وكل شيء يفسد بين يدي الإنسان". ومن أهم آرائه التربوية:

- حدد روسو هدفا يتمثل في إتاحة الفرصة لنمو الطفل الطبيعي دونما تدخل المجتمع؛ فالطفل في نظر روسو مزود بالاستعدادات للتعلم التي تسمح له بأن يكسب الخبرة بالممارسة والمعاناة في العالم الطبيعي.

- أطلق على نظام التربية الأولى حتى سن الثانية عشر مصطلح التربية السلبية، ونعني بهذا أن روسو أوكل أمر تربية الطفل إلى الطبيعة، وأن دور المربي سلبي.

- ميز روسو بين الأعمار، ووجه اهتمام التربويين إلى طبيعة الطفل المتميزة عن طبيعة الراشد إذ يقول " أن لكل عمر ولكل حال في الحياة كمالها الملائم لها، ونوعا من النضج خاصا بها" وأيضا " نحن نجهل الطفولة الجهل كله. إنك ترى من هم أكثر حكمة يتعلقون بما يهم البالغ معرفته، ولا ينظرون فيما ينبغي أن يتعلمه الأطفال، فهم يبحثون دوما لدى الطفل عن الرشد، دون أن يفكروا بما هو عليه قبل أن يصبح راشدا". ومن هنا نرى أن روسو قد آمن بأهمية التربية التطورية المجزأة التي تضع حدودا واضحة بين الأعمار.

- ركز روسو في توجيهاته التربوية على أهمية الحواس كمصادر للتعلم لتنمية الفكر وبخاصة في مرحلة الطفولة، ولم يعطي اهتماما للرصيد المعرفي الذي جمعه البشرية عبر تاريخها الطويل إلا بعد سن الثانية عشر؛ حيث ترك لمربي إميل أن يوجهه إلى القراءة من الكتب، مراعى طبيعته واهتماماته وميوله ورغباته (عمر أحمد همشري، 2007، ص-

ص87-88)

## 5- المؤثرات التي بلورت الفكر التربوي عند روسو:

أ- **المؤثرات البيئية:** عاش جان جاك روسو محروما شريدا، لعبت به أنواء الحياة وتجاوزاتها المحن وبالطبع كان لهذا تأثير كبير على فكره وحالته النفسية؛ بل وعلى طباعه أيضا؛ فقد عاش روسو محروما من والدته التي توفيت قبل أن تكتحل عيناه برؤيتها؛ ففقد بذلك حنانا لا يعوض أبدا؛ من هذا كله يتبين أن روسو فعلا حرم من الحنان؛ لكن بعد ذلك اهتمت به إحدى عماته، وقد وصفها روسو بأنها شابة لطيفة فاضلة أولته من الرعاية ما أنقض حياته، وقد اعترف روسو بفضلها ورعايتها له واهتمامها به وتأسف كل الأسف لعجزه على رد الجميل لها في أواخر أيامها، ثم قضى روسو في كنف القس لامبرسيه وهو قسيس بروتستانتى عامين اعتبرهما أسعد سنوات طفولته تعلم فيهما كيف يصلي لله إلى جانب مبادئ الدين التي تميزه فيما بعد عن فلاسفة القرن 18 الملحدون... وفيهما أيضا -أي العامين - استيقظ في نفسه المرهفة حب الطبيعة الحلوة المنعزلة؛ ذلك الحب الذي جعل منه أكبر مصور للطبيعة عرفته فرنسا حتى نهاية القرن الثامن عشر ميلادي، من هنا نستطيع القول أن حياة روسو كانت مليئة بالتحديات والمغامرات؛ محفوفة بالمخاطر والظلم أحيانا، هادئة وثابتة أحيانا أخرى؛ وكل هذا جعله يهتم بالبعد الإنساني في وسط هذه الظروف البائسة، وهذه الذلة والمسكنة؛ تكونت نفس كلها حس مرهف من خلال الطبيعة؛ هكذا تكونت عبقرية روسو الأدبية والتربوية من خلال الظروف البيئية التي كانت محيطة به؛ ومن حياته المحفوفة بالأخطار، فهذه كانت أهم مواقف أثرت في فكره التربوي وجعلته بل وهياتته أن يألف كتاب إميل.

ب- **المؤثرات الذهنية:** تعلم روسو للقراءة كما ورد في اعترافاته، فقد كان يذكر أول مرة قرأ فيها؛ فكان روسو يقرأ بعض من القصص التي خلفتها والدته والتي كان القصد منها في البداية أن يتعلم القراءة بالاستعانة بالكتب المشوقة، وقد ذكر بأنه بفضل هذا الأسلوب استطاع أن يكسب حذقا بالغا للقراءة والفهم؛ بل أيضا أحرز دراية بالعواطف حتى أُلّف جميع

مشاعر الحياة العادية. هذا جعل ما جعل لإحساسه أن يتنبأ قبل فكره، فقد أعطته هذه القصص فكرة عن الحياة، بل وأعطته خبرة كان لا بد منها؛ فتجربته هذه كانت ممزوجة بحب المطالعة أكثر من أي شيء آخر.

ومن هنا يمكننا القول أن حياة روسو الذهنية كانت مليئة بالمتعة والتشويق والأصالة، فكتب التاريخ التي كان يقرأها كانت تكفي أن تصنع مواطنا مليئا بالحماسة منطلقا نحو الحرية مدافعا لها؛ ومن هنا ندرك أن آراءه التربوية التي احتواها كتاب إميل لم تكن فقط نتيجة استقرار طويل أو تجربة طويلة صبورة حقيقية فقط؛ بل كانت هذه الأفكار وليدة الوحي والإلهام ووليدة ارتجال عبقرى المع كان للطبيعة دور كبير في إرساء مبادئه فكل ما مر على روسو انعكس بالإيجاب على عبقريته ومؤلفاته وآراءه التربوية التي لم تفارق ولو للحظة حب الطبيعة.

**6- أفكار روسو التربوية من خلال كتاب إميل:** كتاب إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد؛ هو كتاب يعكس عبقرية روسو وفطنته، فقد أوضح فيه آراءه التربوية عن المجتمع والتربية، وقد كان هذا الكتاب يعكس بصورة واضحة تربيته المضطربة التي كانت تخلو من كل نظام، لقد ألف روسو كتاب إميل عقب إقامته في مومورنس، وهو يقول أنه كلفه عشرين سنة من التفكير وثلاث سنوات من العمل؛ وقد ظهر هذا الكتاب ولم يقابل في البداية بذلك التهليل الذي صاحب كتابات روسو دائما، صحيح انه قوبل بإعجاب هائل في الجلسات الخاصة، لكنه لم يثر إعجابا عاما، رغم ما أكده له أصحاب الرأي وقادة الفكر من أنه أحسن ما كتب على الإطلاق.

لقد نشر روسو كتابه "إميل" في خمسة أجزاء تناول في كل جزء منه مرحلة من مراحل عمر الإنسان. فيؤكد في الجزء الأول على ضرورة تربية الطفل من قبل والديه معاً، فالإنسان صالح بالفطرة، والتربية تقيه من المجتمع الذي قد يفسد هذه الطبيعة، ويرى أن من أخطاء التربية الحديثة استخدام الطرق والوسائل التي من شأنها إزعاج الطفل وتخويفه. وفي الجزء

الثاني، عندما يصبح الطفل قابلاً للتعلم والمناقشة من (4 سنوات إلى 12 سنة)؛ ويرى روسو أن تعليم الصدق والابتعاد عن حشو الذهن بالخرافات يشكلان أساس هذه المرحلة، كما يشدد على التربية البدنية التي جعلت القدماء أقوى وأشداء، فيتصور بطله إميل «قوياً مليئاً بالحيوية والنشاط خالي الفكر من الهموم والمشكلات في الثانية عشرة من عمره». وفي الجزء الثالث يبدأ التعليم الإيجابي من (12 إلى 15 سنة)، ففكرة التعلم من الظواهر الطبيعية هي من مبادئ روسو التربوية، فتعلم الجغرافية مثلاً مقرون بمشاهدة الطبيعة. كما أراد روسو أن يتعلم إميل، الذي قارب سن الرشد، مهنة مفيدة في الحياة تؤمن له رزقه فاختر لبطله مهنة النجارة، وقدم أمثلة تربوية رائدة هي مشاركة الأستاذ الطالب العمل. ويركز الجزء الرابع الذي يتناول المرحلة الرابعة من عمر الإنسان من (15 إلى 20 سنة)، على التربية الخلقية والدينية، فيرى روسو أنه لا يجوز مطلقاً غرس التعليم الديني عند مراقبين لم تتضح مداركهم بعد. أما الجزء الخامس فيبرز فيه دور المرأة الفاضلة في التربية والأسرة والمجتمع.

7- الحالة الطبيعية عند روسو: من خلال المقولة الشهيرة لروسو في كتابه إميل: " يخرج كل شيء من يد الخالق صالحاً، وكل شيء في أيدي البشر يلحقه الاضمحلال" نجد أن الفلسفة الطبيعية جاءت كثورة فكرية وعملية لا تقل أهميتها وأثرها عن أهمية عصر النهضة، فلقد حولت دحض المفهوم القائل: إن التربية تنحصر في حفظ الكتب، واتقان الأسلوب والشكل، وركزت على أن العواطف وهوى النفس هي المحرك الأول والأساس الصحيح الذي يجب أن تقوم عليه التربية والاجتماع، وقد كانت هذه الحركة ثورة على منطق العصور الوسطى ونزعته الدينية، وقلة فائدة التعليم للمتعلمين وجموده فكان لبد أن من أن يعقب هذا الجمود قيام حركة تعيد للتربية مرونتها وتبعث فيها حياة جديدة وهذا ما فعلته الحركة الطبيعية.

ومن هنا نجد أن الحركة الطبيعية ترى بأن الإنسان الأول، أي إنسان الطبيعة كان مساوياً لأي إنسان آخر، فلا يوجد هناك أدنى تمييز بين الإنسان وأخيه الإنسان كما لم يكن هناك

حاكم ومحكوم، متعلم وجاهل، غني وفقير، بل كان كل إنسان مساوي تماما لكل إنسان آخر، فلا يوجد هناك أدنى تمييز.

وأيضاً يرى روسو أن الإنسان الأول كان يعيش حياة بسيطة تنسم بالبراءة والحرية والمساواة، فهذا الإنسان لم يكن في حاجة إلى الاستعانة بالكذب أو النفاق، فلا حاجة له بها ما دام لا يوجد تفاوت أو تمايز بين الناس، فالإنسان الأول حسب روسو طاهراً شريفاً؛ ففي الطبيعة ما يكفي حاجاته ويزيد، فهو يقول في هذا الصدد في كتابه إميل: "راقبوا الطبيعة وانظروا كيف تبين لكم السبيل، فإنها تعمل على تمرير الأطفال بالأحداث والأشياء، وتعليمهم منذ البداية كيف يكونوا الأمل".

**8- الحالة المدنية عند روسو:** تتميز الحالة المدنية عند روسو في ظهور الملكية الخاصة التي تبدأ بزراعة الأراضي واستئناس الحيوان، وظهور تقسيم العمل، وبداية تشكل التفاوت الاجتماعي بين مختلف أفراد المجتمع، وظهور التمايز الطبقي، وحرص الأغنياء في اكتناز الثروة، وتقل في المقابل فرص الفقراء في الحصول على نصيبهم العادل من ثروة المجتمع. وفي ظل هذه الحالة (المجتمع المدني) يبدأ الأغنياء في السيطرة على الفقراء بوسائل مختلفة، وتظهر كنتيجة لذلك مشاعر الحقد والكراهية والحسد. ولكي يحافظ الأغنياء على حقوقهم، تصدر القوانين المنظمة للملكية والتي تدعم أوضاعهم داخل المجتمع؛ فيزداد النفاق وتختفي الصداقة المخلصة وتضعف الثقة المتبادلة ويسود الخوف والكراهية والقتل، وظواهر لم يعرفها المجتمع في الحالة السابقة بقدر ما عرفها إبان نشأة المجتمع الإنساني.

وفي هذا الصدد يقول روسو "أن أول إنسان أحاط قطعة أرض وقال: "هذا ملكي" ووجد أناساً بسطاء صدقوا ما قاله لهم، إن هذا الإنسان هو مؤسس المجتمع المدني، فلو أن أحداً أقدم آنذاك على هدم هذا السياج هاتفاً بأبناء جنسه: احذروا من أن تصدقوا كلام هذا المشعوذ المكار، ولا تنسوا أن ثمار الأرض للجميع، وأن الأرض ليست لأحد؛ فكم كان وفر على البشرية من جرائم، وحروب، وقتل، وشقاء.

## 9- التطبيقات التربوية للفلسفة الطبيعية:

- **المعلم:** ترى الفلسفة الطبيعية بالمعلم حكيمًا، موجهًا ومشجعًا للطفل ليتعلم بنفسه بصورة غير مباشرة. وأن لا يتدخل في عمل الطفل أو يؤثر عليه وبهذا يكون ناتج التعلم ناتجا شخصيا للمتعلم يشعره بالسعادة والإنجاز.

وعلى المعلم أن يكون ملما بعلم نفس نمو الطفل، ومعرفة قدرات غرائز وميول وتفكير الطفل؛ ليساعد الطفل على النمو وفقا لميوله، واهتماماته الخاصة واحتياجاته، وخصائص التطور والنمو لديه.

وكذلك وجب على المعلم أن يكون مخلصا، صادقا صبوراً، دون التسرع في إصدار الأحكام، وأن يتصف بالتسامح والمرونة (ناصر، 2001) ، وألا يفرض عقابا بدنيا على الطالب بل يترك ذلك للعقاب الطبيعي الذي يكون نتيجة تصرفات الطالب غير الملائمة

- **المتعلم:** الفلسفة الطبيعية جعلت التلميذ المركز والمحور في العملية التربوية بدلا من المعلم، واعتمدت على التربية كوسيلة لخلق التلميذ الطبيعي الكامل؛ من خلال مراعاة نمو الطفل واهتماماته بالتركيز على تنمية طبيعته الذاتية بواسطة المنهاج والمقرر الدراسي، فيجب الاهتمام بميول الأطفال على أساس أن التعلم عملية طبيعية، والغرض منها مساعدة الفرد وتشجيعه على النمو، وأن الاستفادة من الميول أمر يساعد على تعلم الأطفال. كما تركز الفلسفة الطبيعية على أهمية ودور الحواس في المعرفة (اليمني، 2009).

- **المنهاج:** تخطط مناهج التدريس وفقا لطبيعة المتعلمين النمائية ليتوافق مع قدراتهم وميولهم ويتألف المنهاج "المواد المقررة في التدريس" من العلوم الطبيعية، الجبر، الفلك والجغرافيا؛ بحيث تدرس من خلال الرحلات لا الكتب والخرائط، كما تهتم الفلسفة الطبيعية بالأنشطة الصفية، وتشير إلى أهمية هذه الأنشطة كوسيلة لتنمية ميول الطفل وقدراته.

- **طرق التدريس:** تؤمن هذه الفلسفة بعدم استخدام العقاب البدني، أو اللجوء الى القوة بهدف حفظ النظام في الصف والبيت، وعلى البالغين السماح للطفل أن يتربى من خلال أخطائه وتجاربه؛ أي التربية من خلال قوانين الطبيعة، وتشير الفلسفة الطبيعية إلى أن التربية تحدث استنادا لثلاثة نماذج وهي الطبيعة الناس والأشياء؛ لذلك تعتمد طرق التدريس على النشاط والتعلم الذاتي الذي يساعد الطالب على اكتساب الخبرة بالممارسة والتجربة في العالم الطبيعي؛ كما أشار وركز "روسو" على عدم إعطاء دروس شفوية للطفل مطلقا؛ لذلك تستند عملية التدريس في الفلسفة الطبيعية على ثلاثة عوامل هي:

- **عامل النمو:** هذا العامل يشير إلى وظيفة المعلم وهي توجيه النمو الطبيعي للطفل، فلا يجبر الطالب على التعليم من قبل الآخرين، إنما من خلال دافع داخلي وبتوجيه المعلم ويجب أن تتلاءم طرق واساليب التدريس مع الخصائص النمائية العقلية والجسمية والانفعالية للطفل لمساعدته على النمو العام لشخصيته في كل مرحلة عمرية.

- **عامل متعلق بنشاط الطفل:** هذا العامل يؤكد أهمية الاعتماد على النشاط الذاتي للطفل دون تدخل البالغين؛ فيقوم الطفل بمشاهدة الأشياء واكتشاف العالم الطبيعي بواسطة التعلم الطبيعي والنشاط الذاتي، والحاجات الفردية بواسطة التجارب الشخصية والرحلات.

- **عامل الفردية:** تهتم طرق التدريس بمراعاة الفروق الفردية، وتوفير الفرصة والسماح لكل طفل أن ينمو وفقا لطبيعته وقدراته الذاتية ولطبيعته الفردية؛ لذا يجب على التربية أن تتلاءم مع حاجات الطفل وألا يجبر الطفل ليتلاءم ويتكيف بنفسه مع التربية العامة السائدة في مجتمعه (ناصر ابراهيم، 2001، ص12)

10- **بعض الانتقادات التي للفلسفة الطبيعية:** يمكن تقديم بعض الانتقادات التي وجهت إلى الفلسفة الطبيعية وهي:



- إبعاد الطفل عن المجتمع وتركه في أحضان الطبيعي أمر غير واقعي؛ لأن الطفل بحاجة إلى الآخرين حتى يدرك نفسه وينمي إحساسه من خلال إدراك الآخرين وأحاسيسهم.
- إهمال الميتافيزيقا؛ فلم يتوجه البحث الفلسفي إلى الميتافيزيقا على اعتبار أن الأنطولوجيا أو مبحث الوجود ركز على النظرة الطبيعية للعالم، وأدى هذا الأمر إلى صعوبة وجود انعكاسات للفلسفة الطبيعية على المباحث الأخرى.
- استثناء بعض العناصر من البحث في السبب الأول للوجود، فالطبيعيون الأولون استثنوا التراب ظنا منهم بأنه عنصر مركب وليس بسيطا، ثم أحدث الطبيعيون المتأخرون نقلة نوعية بإضافة عنصر التراب.
- أما بالنسبة للميول فيقول روسو أن ميول الطفل تظهر تلقائيا ولكن الميول فطرية انما تنمو من خلال تواصله واحتكاكه مع العالم الخارجي ، اما العقاب الطبيعي فممكن ان يعرض الطفل للهلاك(عبد الكريم علي اليماني، 2009).

## قائمة المراجع:

- 1- عبد الجليل كاظم المحنة(2009)، الفلسفة اليونانية، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- 2- أ.س رابوبرت(2012)، مبادئ الفلسفة، ترجمة أحمد أمين، مؤسسة هنداوي لنشر المعرفة والثقافة، القاهرة، مصر.
- 2- عمر أحمد همشري(2007)، مدخل إلى التربية، دار الصفا للنشر والتوزيع، عمان، الأردن
- 3- ناصر ابراهيم (2001)، مقدمة في التربية، دار عمان للنشر والتوزيع، الأردن
- 4- عبد الكريم علي اليماني، (2009)، فلسفة القيم التربوية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

### المحور السادس: الفلسفة الإسلامية

**تمهيد:** إن قضية الفلسفة الإسلامية من أهم القضايا التي اهتم بها المستشرقون باعتبارها جزءا لا يتجزأ من هذا التراث؛ حيث ذهب نفر منهم الى التشكيك في أصالتها، بينما كان رأي البعض منهم منصفا الى حد الاعتراف بفضلها على الفلسفة الغربية وخصوصا لما كانت هذه الأخيرة تقبع في عصر الظلمات.

والفلسفة الإسلامية هي تطبيق للتصور الإسلامي عن الله والكون والإنسان والوجود. وأما تطبيقاتها التربوية أو ما يمكن أن نطلق عليه "الفلسفة التربوية الإسلامية" فيقصد بها تطبيق المنهج الإسلامي على التربية. فهي النشاط الفكري الإسلامي الذي يعمل على تنظيم العملية التربوية وتنسيقها وتوضيح القيم والأهداف التي تسعى لتحقيقها؛ ولهذا تستمد الفلسفة الإسلامية تصوراتها من القرآن والسنة لحقيقة الإنسان وموقعه من الكون، وموقع كليهما من الخالق لهما. فهي تؤمن بأن الله واحد أحد، منه صدر كل شيء، وإليه يعود، وأنه خلق الكون وجعله غيبا وشهودا، وخلق الإنسان لعبادته، وجعله خليفة في الأرض لإعمارها وترقية الحياة على ظهرها، وفقا لمنهجه وشريعته، وخلق الحياة الدنيا والآخرة، وجعلها متكاملتين، لا بديلتين ولا نقيضتين (علي مذكور، 2001، ص34).

**1- نشأة الفلسفة الإسلامية:** ويمكن التأريخ للفلسفة الإسلامية ابتداء من البدايات الأولى للحضارة الإسلامية وهي المرحلة التي كان يطلق عليها "علم الكلام" ويشير إلى الأعمال والدراسات التي تقوم على تأويل نصوص القرآن وتحليل بنيتها اللغوية، سعيا منها لإثبات وبرهنة قوتها، وقد ظهر علم الكلام في تلك الفترة للرد على الفرق التي كانت منتشرة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مثل فرقة الخوارج، الجبرية، السلفية، الإسماعيلية، المعتزلة والزندقة، فقد رد ابن عمر وابن عباس وعمر بن عبد العزيز والحسن بن محمد على فرقة المعتزلة، ورد علي بن أبي طالب على فرقة الخوارج، وفي القرن التاسع الميلادي امتزجت بالفلسفة اليونانية وخاصة الفلسفة الأرسطية، والأفلاطونية بشكل ركزت فيه على النصوص

التي تتوافق مع النصوص الشرعية، وبعد تناول المسائل التي يمكن إثباتها عن طريق العودة إلى الأدلة القرآنية عرجت إلى معالجة الموضوعات التي تثبت عقليا، وقد كانت نظرة الفلاسفة المسلمون القدامى إلى الفلسفة اليونانية تنطلق من اعتبارها فكرا كليا يتسم بإمكانية التطابق مع جميع العقول وهو ما أشار إليه طه عبد الرحمن في مؤلفه الذي يحمل عنوان "الحق العربي في الاختلاف الفلسفي" والذي عدد فيه أسباب إقبال العرب على الفلسفة الإغريقية وحددها في سببين يتعلق الأول بالسياق العلمي لها حيث كانت مندمجة مع الكثير من العلوم وعلى رأسها الرياضيات والعلوم الطبيعية، أما السبب الثاني فيتعلق بالبناء النظري للفلسفة وعلى أساسه اعتبر العرب الفلسفة الإغريقية نموذج للخطاب الإنساني وهو ما تؤكد الأعمال والمؤلفات العديدة للفلاسفة المسلمين أمثال: ابن رشد والفارابي (طه عبد الرحمان، 2006، ص-ص 56-57).

## 2- مبادئ الفلسفة الإسلامية: تقوم الفلسفة الإسلامية على ما يلي:

- **التوحيد:** مبدأ عام ورئيسي وكل من الإنسان والطبيعة وجميع المخلوقات التي أوجدها الله تعمل على تحقيق غاية مشتركة ورئيسية وهي عبادة الخالق، وجميع الظواهر الكونية تخضع لنظام دقيق يظهر قدرة الله الخالق ويؤكدها، ويقدم الإسلام إجابات حول جميع المسائل التي يمكن أن يتساءل حولها البشر، ويقدم كذلك توضيحات للوسائل والآليات التي يتبعها الفرد لجعل الطبيعة في خدمة مصالحه، وبخصوص تأثير البيئة الاجتماعية ذهبت إلى أن الإنسان ولد على الفطرة، والبيئة الأسرية والبيئة الاجتماعية تعمل على تشكيل وتكوين شخصيته وتنمية معتقداته.

- وفي تطرقها لموضوع الطبيعة الإنسانية أشارت الفلسفة الإسلامية إلى الخصوصية التي تجعل الإنسان كائن مميز عن باقي الكائنات الحية، فالإنسان كائن له مميزات خلقية ومميز كذلك في تكوينه وفي سماته، أما بخصوص مكونات الإنسان فهي تتناولها بشكل متكامل

عضويا، وتتنظر إليه باعتباره كل مركب من جسد وروح وعقل وعواطف ومشاعر ولا تعلي من شأنه يكون مقارنة بالآخر بل ترى أن كل منهما ضروري للآخر، وعلى الإنسان الاعتراف بكل منهما واستغلالهما خدمة لمصالحه وتلبية لاحتياجاته (أحمد علي الحاج محمد، 2002، ص-ص 104-106)، وفي ذات السياق ترى أن طبيعة الإنسان ميالة إلى الخير ومفطورة عليه ويمكن للظروف الأسرية والاجتماعية وتفاعله مع المجتمع أن تؤثر على فطرته وعلى قابليته وقدراته واستعداداته.

- وتبرز وسطية الإسلام من خلال جعله حرية الإنسان مشروطة وغير مطلقة فالإنسان حر ومقيد له عقل يفكر به ويختار على أساسه بين الممارسات والأفعال المقبولة والممارسات غير المقبولة، ومسؤولياته تحددها شروط معينة على اعتبار أن لديه قدرة على التمييز وإرادة يمكنه بواسطتها اختيار ما يجعله مسؤول (أحمد علي الحاج محمد، 2002، ص-ص 104-106).

- حظيت المعرفة باهتمام خاص من قبل الفلسفة الإسلامية، فعند الاطلاع على التعريفات التي قدمها الفلاسفة الإسلاميين لها يسمح لنا بالوقوف على أوجه الاقتراب بين الفكر الإسلامي والفكر الفلسفي اليوناني، وقد تم تصنيف العلوم إلى علوم نظرية وعلوم ضرورية. (أحمد عماد الدين خواني، 2013، ص 199).

- أما عن القيم في الفلسفة الإسلامية فهي تجمع بين الشمولية والتكامل لكونها وثيقة الصلة بجميع النواحي المشكلة لكل من الفرد والمجتمع وتصنف إلى قسمين: قيم سماوية (فوقية) وتتميز بالثبات؛ وهي قيم مطلقة مصدرها إلهي، وقيم اصطلاحية متفق عليها تتميز بالنسبية والتغير، ومن القيم التي كانت محل بحث في الفلسفة الإسلامية قيمة الحق، الخير، الشر، العلم، العمل، العدل (أحمد علي الحاج محمد، 2002، ص 112).

- 3- أهداف الفلسفة الإسلامية: من الأهداف التربوية التي حددتها الفلسفة الإسلامية:
- أسمى وأهم هدف تربوي يتمثل في بلوغ الكمال الإنساني، وهو ما يمكن تحقيقه بواسطة إعداد الفرد المسلم القادر على أداء العمل الصالح، ولا يرتبط هذا العمل بمجال معين إنما يشمل جميع المجالات الحياتية: العلمية، الثقافية، السياسية والصناعية، ويشمل كذلك العمل الديني والعمل الدنيوي، ويتحدد صلاح العمل من دونه بمدى تحقيقه للخير والمنفعة ودفعه للشرور والرذائل لكل من الفرد والجماعة (عبد الرحمان النحلاوي، 2010، ص104).
  - إعداد الفرد بصورة شاملة ومتكاملة.
  - إعداد الفرد للحياة في الدنيا والآخرة معا.
  - تنمية الجانب الأخلاقي للفرد.
  - تنمية الجانب العقلي للفرد، وجعله فردا متأملا مفكرا محبا للعلم والمعرفة يسعى للحصول عليها، ويستخدم المناهج العلمية من استدلال واستقراء واستنباط وتعويده على التعلم الذاتي المستمر.
  - تربية مهنية تزوج بين العلم والعمل، وتزويده بالمهارات التي تتيح له ممارسة عمل منتج نافع بإتقان خدمة لأهدافه وتلبية لتطلعات مجتمعه.
  - إكساب الفرد القيم والاتجاهات والمعايير التي حث عليها الإسلام ودعا لنشرها وتجنبيه للممارسات غير المرغوبة (ماجد عرسان الكيلاني، 1998، ص-ص41-50).
- 4- رواد الفلسفة الإسلامية: قد يعترض الكثيرون على أهمية الفلسفة الإسلامية وقيمتها في الفكر الفلسفي العالمي وما مدى إضافتها وإسهامها فيه، وإن ما يطلق عليه لفظ الفلسفة الإسلامية لم تتل اعترافا كاملا من قبل المؤرخين في هذا المجال وجعل دورها هامشيا، ولم تكن لأن تظهر لولا العبقرية اليونانية التي سدت منافذ الإبداع الفلسفي، وأن الإبداع والتجديد

في حد ذاته لم يتجلى في فلاسفة هذه الحضارة، حتى ولو كان هؤلاء الفلاسفة يتقدمهم الشيخ الرئيس ابن سينا، أبي نصر الفارابي، ابن رشد وغيرهم .. ممن برزوا في هذه الحضارة. فالفلسفة الإسلامية لفتت لها من مجموعة من السلبيات والنقائص أولها أنها مقلدة لم تستطع أن تتخلص من الإشكاليات الكبرى التي حددتها الفلسفة اليونانية آنفا. إضافة للرفض الحاصل آنذاك أثناء بداية ولوج هذا الفكر في بدايته الأولى مع حركة الترجمة، كما أن هذا الرفض لا يزال قائما ويتجدد في كل لحظة خاصة إذا رأى أصحاب المصالح (السياسية أو الدينية على السواء) أنهم مهددون في عروشهم أو زعامتهم ليكيلوا لها كل الاتهامات قصد التضيق على منتحليها، وجعلها مرفوضة شعبيا وعلى نطاق واسع في الأوساط النخبوية، خاصة المتأثرة بأيدولوجيات معينة.

- **القابسي وآراؤه التربوية:** ولد سنة (324هـ-936م)، وتوفي سنة (403هـ-1012م) ولد أبو الحسين علي بن محمد القابسي في القيروان وتلقى علومه فيها، وارتحل إلى الحجاز، وأقام في مصر فترة من الزمن حيث أخذ من أحد علماء الإسكندرية، ودرس على يد عدد كبير من شيوخ المغرب العربي، وقد اعترف له أهل عصره بالعلم والنزاهة والتقوى والقناعة، وتوفي في القيروان، من أشهر مؤلفاته: (كتاب أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين).

- **آراؤه التربوية:** يعتبر القابسي مرجعا أصيلا للتربية الإسلامية، من حيث عنى بتربية الأطفال، باعتبار تربية الطفل تمثل القاعدة الأساسية في التربية الإسلامية، ولما كانت البيئة الاجتماعية في عصره بيئة دينية خالصة، فقد تأثرت آراؤه ببيئته وعلمه، فيرى أن الدين يهيا الأطفال ويعددهم لحياة أفضل؛ وهو الأساس للتربية الإسلامية. وقد تميز القابسي بالتطرق لموضوعات وقضايا تربوية لم يسبقه أحد إليها ومازالت لوقتنا الحاضر محور اهتمام الأنظمة التربوية، ومن أهم آراء القابسي التربوية:

- **غرض التربية:** يرى القابسي أن الغرض من التربية هو إعداد الطفل وتنشئته على تعاليم الدين الإسلامي ليكون إنسانا صالحا في حياته آخرته؛ فتتم عملية الإعداد بإرسال الأطفال للكتاب حيث يتعلمون حفظ القرآن الكريم، ثم يتعلمون الكتابة والنحو واللغة العربية، ومن ثم يتعلمون الحساب والشعر وأخبار العرب وغيرها من العلوم النافعة المتربطة بحياتهم.

- **منهج التربية:** ينقسم المنهج في نظر القابسي إلى منهجين: هما المنهج الإجباري ومن محاوره القرآن الكريم والنحو والقراءة والكتابة، والمنهج الاختياري ويشتمل الحساب والعربية والتعمق في النحو واللغة والشعر وأيام العرب، ولا يقبل القابسي التهاون في تعليم القرآن الكريم، باعتباره الموجه والمصدر الرئيس لثقافة الأمة وحياتها، ولا يرى مانعا من تعليم الناشئة العلم والصناعة التي تساعد على الحياة الكريمة، وبذلك يمكن أن يجمع المتعلم بين الغرض الديني، وهو التفقه في الدين، والغرض الدنيوي وهو اكتساب العلم واتقانه.

- **إلزامية التعليم:** لم يحدد القابسي سنا معيناً للبدء بتعليم الطفل، لكنه ألزم الوالد في البحث عن مكان لتعليم ابنه، واعتبر (بيت المال) مسؤولاً عن تعليم من لا يستطيعون الالتحاق بالكتاب، ويعتبر هذا المبدأ الأول من نوعه باعتبار التربية حقا للطفل، يتحمل مسؤوليته كل من الوالد والمجتمع، وهو اتجاه معاصر تأخذ به بعض الدول المتقدمة في المجال التربوي.

- **ديمقراطية التعليم:** يرى القابسي أن التعليم حق للجميع دون استثناء، بل كان يرى بضرورة تعليم جميع أبناء المسلمين في مكان واحد، وأن يتلقوا العلم عن معلم واحد، حرصا منه على توفير مستوى واحد من التعليم للجميع، ومعاملة واحدة لجميع الأطفال، كما ذهب إلى ضرورة مكافأة المعلم بما يمكنه من التفرغ لتلاميذه تفرغا تاما يحول دون انشغاله بأي أمر من الأمور المعيقة للتدريس، ويعتبر هذا المفهوم تعبيراً عن مفهوم شمولي لديمقراطية التعليم من حيث تكافؤ فرصة للجميع ونوعيته ومستواه.

- **الاختلاط بين الجنسين:** يعتبر القابسي أول من تعرض للفصل بين الجنسين في التعليم من أجل توفير جو يسوده الاطمئنان النفسي لدى المتعلمين، ذكورا وإناثا، وذهب به الحرص



على الأطفال إلى القول بضرورة مراعاة العمر الزمني للأطفال، وعدم الخلط بين الصغار والكبار من المتعلمين.

- **برنامج التدريس:** يعتبر القابسي أول من وضع البرنامج التدريسي المفصل للمتعلمين؛ حيث كان يهتم ببرنامج اليوم المدرسي الطويل حيث يمضي الأطفال في الكتابة فترة صباحية، ثم يعودون فترة مسائية واعتبر نهاية الأسبوع للمراجعة والتقويم بحيث يذهب الأطفال للراحة التامة يوم الجمعة ليعودوا على درجة من النشاط والإقبال على الدرس صباح السبت، أما توقيت المواد الدراسية فكان القرآن وعلومه يبدأ في الصباح، ثم الكتابة في الضحى، وتدرس بقية العلوم بعد الظهر إلى آخر النهار. (ماجد عرسان الكيلاني، 1987)

- **الحفظ والاستظهار:** اهتم القابسي بالحفظ والاستظهار بالنسبة لتعليم القرآن الكريم، ولكنه أكد على أهمية الربط بين الحفظ والمعاني من جهة، وبين الميل للحفظ والفهم من جهة أخرى، فالقراءة في رأيه هي التدبر والفهم، ومهارة الاستظهار هي ضبط الشكل والإعراب، أما الكتابة فهي حسن الخط ووضوحه.

- **أثر المتعلم وشخصيته في التعليم:** يرى القابسي أن الطفل بطبيعته ميال للمحاكاة يتأثر بمن يخالطهم ينقل عنهم سلوكهم وتصرفاتهم، والمعلم هو أقرب الناس بعد الوالدين إلى الطفل، ومن هنا جاءت أهمية دوره في التأثير في تكوين شخصية الطفل، وهذا يتطلب من المعلم أن يكون قدوة لتلاميذه في مظهره وحديثه، وعاداته وسلوكه، هذا فضلا عن أهمية معرفته بالقرآن الكريم التي تتصل بالفضيلة والحث على الخلق الجميل.

- **العقاب:** يرى القابسي أن العقاب ينبغي أن يبدأ بالنصح، ثم عزل الطفل الذي يستمر في السلوك السلبي عن بقية رفاقه، ثم تهديده بنوع من العقاب البدني، ولا يكون الضرب إلا عقوبة أخيرة عندما لا تفلح أساليب النصح والإرشاد والعزل والتهديد.

- ابن سينا وآراؤه التربوية: ولد سنة (370هـ - 980م)، وتوفي سنة (468هـ - 1037م) هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، ولد في قرية أفنشة الواقعة بالقرب من مدينة بخارى الواقعة في أوزباكستان حاليا.

- **هدف التربية عند ابن سينا:** إن هدف التربية عند ابن سينا هو نمو الفرد نموا كاملا من جميع الجوانب، النمو الجسمي، والنمو العقلي، والنمو الخلقى، ثم إعداد هذا الفرد لكي يعيش في المجتمع ويشارك فيه بعمل أو حرفة يختارها وفق استعداداته ومواهبه؛ فالتربية عند ابن سينا لم تغفل الحديث عن النمو الجسمي وكل ما يتصل من رياضة بدنية، وطعام وشراب ونوم ونظافة، ولم تستهدف فقط النمو العقلي وجمع المعلومات، بل تناولت جميع الجوانب التي تتعلق بالإنسان في جميع مكوناته الجسمية والعقلية والخلقية، ولا يقتصر عمل التربية على خلق المواطن الكامل جسما وعقلا وخلقاً فقط، بل لابد أن تعده لمهنة أو عمل أو حرفة يشارك بها في عملية البناء الاجتماعي، لأن المجتمع في نظر ابن سينا إنما يقوم على التعاون وعلى تخصص كل فرد في عمل أو مهنة وتبادل المنافع والخدمات بين أفراده.

- **بعض أفكار ابن سينا التربوية:** ذكر ابن سينا العديد من الأفكار التربوية نورد منها ما يلي: يرى ابن سينا أن الطفل يتعلم في الكتاب لا في البيت: " لأن انفراد الصبي الواحد بالموذّب أجلب لضجرهما، ... ولأن الصبي عن الصبي ألقن وهو عنه آخذ وله أنس ... وأدعى إلى التعلم والتخرج، فإنه يباهي الصبيان مرة ويغبطهم مرة، ويأنف عن القصور مرة، ثم أنهم يترافقون ويتبادلون الزيارة ويتكلمون ويتبادلون الحقوق، وكل ذلك من أسباب المباراة والمباهاة والمساجلة والمحاكاة، وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم وتحريك لهمهم وتمارين لعاداتهم". ويجدر الوقوف عند ما دعا إليه ابن سينا من مساندة ميول الصبي، وتوجيهه إلى الصناعة أو المهنة التي تتوافق مع هذا الميول، ويقول: " ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية، لكن ما شاكل طبعه وناسبه، وأنه لو كانت الآداب والصناعات تجيب، وتنقاد بالطلب

المرام، دون المشاكلة والملائمة، إذن ما كان أحد غفلا الأدب وعاريا من صناعته، وإذن لأجمع الناس كلهم على اختيار أشرف وأرفع الصناعات".

ويقول أيضا: "ينبغي لمربي الصبي إذا رام اختيار الصناعة أن يزن أولا طبع الصبي، ويسبر قريحته ويختبر ذكاه، فيختار له الصناعات بحسب ذلك".

ويطلب من المعلم أن يكون: "عاقلا، ذا دين، بصيرا برياضة الأخلاق، حاذقا بتخريج الصبيان، وقورا رزينا بعيدا عن الخفة والسخف، قليل التبذل والاسترسال بحضرة الصبي.

وعلى المؤدب أن يبحث له عن صناعة، فلا يجبره على العلم إذا كان غير ميّال إليه، ولا يتركه يسير مع الهوس، إذ ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له، مواتية، لكن ما شاكل طبيعته، وناسبه، وأنه لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتتقاد بالطلب دون المشاكلة والملاءمة، إذن ما كان أحد غفلاً من الأدب وعارياً من صناعته، وإذن لأجمع الناس على اختيار أشرف الصناعات" (محمود عبد اللطيف، 2009)

والحق أن ابن سينا كان فيلسوفاً، والفلاسفة بشكل عام يعتقدون أن الفكر اليوناني هو فكر الصفوة المثقفة وأن فضل الفيلسوف على غيره أمر مفروغ منه، إلا أن هدف التربية عنده لم يقتصر على إيجاد الفيلسوف وما كان لابن سينا أن يفعل ذلك، وهو يعيش في القرن الرابع الهجري، مع أن الفكر اليوناني هو للخاصة دون العامة، لذلك فقد جعل "تربية الفيلسوف" هدفا من أهداف التربية عنده في المرحلة المتخصصة، يتجه إليها من يشاء وفق استعداده وميوله، هذا هو جوهر الفرق بين تربية ابن سينا والتربية عند الغزالي أو القابسي، في حين أن تربية الفيلسوف غير وارد عندهما، ولا معترف بها، فنجد أن ابن سينا يسهب في حديثه من تلك العلوم وجدواه.

لذا يمكننا القول إن هدف التربية عند ابن سينا هو خلق مواطن صالح، جسماً وعقلاً وخلقاً، وإعداد هذا المواطن لعمل أو حرفة سواء أكان عملاً نظرياً أم عملاً يدوياً. وسواء أكان العمل النظري متصلاً بالعلوم النقلية أم العلوم العقلية التي يرى بضرورتها في حياة المجتمع، وابن

سينا يعد الصناعة والحرف ضرباً من التعليم يحتاج إلى الإعداد المهني والتدريب والتخصص فيقول: "التعليم والتعلم منه صناعي مثل تعلم النجارة والصابغة وإنما يحصل بالمواظبة على استعمال تلك الصناعة"

- دور التربية الاجتماعية في بناء العلاقة بين الفرد والمجتمع: التربية الاجتماعية هي الأسلوب، وهي الأداة التي تضع الإنسان في بداية طريق النمو والاستفادة من الوسط الاجتماعي القائم لتحقيق الألفة بين أفراد المجتمع المبنية على دعائم الأخوة وحدها أساس يقوم عليها المجتمع ليصبح أفراده متعاونين متعاضدين، ويرى ابن سينا أن إيجاد مجتمع واحد تتحقق فيه سعادة الأفراد على أكمل وجه لا يكون ذلك إلا إذا تعاون أفرادهم على الأمور التي تنال بها المساعدة، واختص كل منهم بالعمل الذي يحسنه، وبالوظيفة المهيأ لها بطبعه، وهذا ما أراء الشيخ الرئيس تحقيقه ووضعه في أصوله الثابتة، وهو يؤكد ضرورة الاجتماع بغية التعاون والعمل على تحقيق الحاجات التي تقتفر إليها الجماعة، ويحقق فضيلة العدالة للوصول إلى المجتمع الفاضل.

فلقد تبنى ابن سينا مفهوم التعاون بين أفراد المجتمع في كل ما من شأنه أن يحقق السعادة، والإتقان في العلم، كما دعا إلى الانصراف الكلي إلى العمل وإخراجه على أحسن صورة، وأكمل أداء. والحق أن نزعة ابن سينا الإنسانية كانت نقية لا تشوبها شائبة، فقد أوتي من الخصال الرفيعة ما يصعب تحقيقه في عامة الناس، فهو سليم البنية، جيد الذهن، ثاقب الذكاء، حاضر البديهة، ماضي العزيمة، حصيف صادق، عادل نزيه، متجرد عن المادة مؤثر للذات والروح. لذا نبين أهمية العلاقة بين الفرد والمجتمع عند ابن سينا، ودور التربية الاجتماعية في إنكاء هذه العلاقة في مختلف جوانب الحياة والارتقاء بوحدة المجتمع وتماسكه وبنائه.

- أبو حامد الغزالي(1058-1111م): ولد الغزالي في طوس من إقليم خراسان، لقب بحجة الإسلام، لتمرسه وتفقهه فيه ودفاعه عنه، له عدة مؤلفات من أشهرها "إحياء علوم

الدين" الذي حمل الكثير من آرائه التربوية و"فاتحة العلوم" و"الرسالة الدينية" و"أبيها الولد" وغيرها من المؤلفات الغزيرة بالقضايا المختلفة.

إن آراء الغزالي في التربية جاءت شديدة الارتباط بآرائه الفلسفية العامة، خاصة إيمانه بفضائل التصوف والزهد. فقد رأى أن هدف التربية الأسمى هو التقرب إلى الله، والاستعداد للحياة الآخرة، وحصر التربية بكل ما يساعد على تحقيق هذا الغرض. لذلك دعا إلى تربية الصبي تربية دينية خلقية متشددة قوامها الخشونة والتقشف، والابتعاد عن ملذات الدنيا حتى البريئة منها، كالطعام الجيد واللباس الجميل والمفرش الوثير، مهملًا أمس ضرورات الحياة العملية، لاعتقاده أن إعداد الناشئ للعالم يؤدي للتحاسد والتباغض فالهالك (أنطون خوري، 1964، ص-ص 28-29) وعموما يرى بوجوب تربية الطفل على الأخلاق والآداب الإسلامية.

وقد شجع على طلب العلم واعتبره من أحسن وأشرف الصناعات، فهو الوسيلة التي تقرب الفرد بخالقه، لذا اعتبر مهنة التعليم من أفضل المهن، وعلى ممتنيتها أن يتصفوا بصفات تميزه عن غيرهم، كالرأفة بالمتعلمين، وأن يكون نموذجا لهم في حسن التصرف وفي الآداب والأخلاق، وألا يطلب أجرا مقابل مهنته هذه، فأجره على الله إن أداها بكل أمانة وصدق.

وركز الغزالي على أهمية مراعاة غرائز الطفل وطباعه واستعداداته في اختيار مادة التعلم، والتدرج معه خطوة خطوة في عملية التعلم، فمن الرضاعة إلى تهذيب للعادات السلوكية إلى اكتساب مهارات اللعب والرياضة، إلى تعلم القرآن والأحاديث الشريفة، وحكايات الصالحين، ودعا إلى تعلم العلوم الأخرى مثل علوم التاريخ والأدب، ويكون لتعلم علوم القرآن منزلة فوق كل منزلة. وحث الغزالي على عدم الانتقال من علم إلى آخر قبل استيعاب متطلبات الأول، وأن يسلك المتعلم المنهج الذي يرسمه له المعلم، وركز الغزالي أيضا على أن تكون هناك فترات استراحة بين الدرس والآخر (عمر أحمد همشري، 2007، ص 98).

- ابن خلدون وآراؤه التربوية: ولد ابن خلدون بتونس سنة (732هـ-1332م) توفي بالقاهرة في سنة (808هـ-1406م): يعتبر ابن خلدون من أئمة علماء العرب ومن أشهر علماء المسلمين الذين تعدت شهرتهم حدود بلادهم، درس العلم وحصله على أيدي علماء كثيرين، وإلى جانب اشتغاله بالعلم اشتغل بالسياسة، وخاض غمارها وجرت المصائب والمؤامرات والحروب، وكان لا يستقر في مكان واحد، فقد أمضى ما يقرب من ثلث حياته أربع وعشرين سنة في تونس، وثلثا آخر في المغرب والأندلس، وثلث ثالثة في الشام والحجاز ومصر.

- أقسام العلوم عند ابن خلدون: قسم ابن خلدون العلوم إلى قسمين:

**الأول العلوم النقلية:** وهي العلوم التي ينقلها الإنسان عن وضعها، وكلها مستندة إلى الخبر من مصدره الشرعي ولا مجال للعقل فيها، إلا إلحاق الفروع بالأصول، ومن هذه العلوم، علم التفسير، علم القراءات، علوم الحديث، علم أصول الفقه، علم التوحيد، علم البيان، علم الأدب.

**الثاني العلوم العقلية:** وهي التي يهتدي إليها الإنسان بعقله وهي تشمل علم المنطق والعلم الطبيعي، والعلم الإلهي (ما وراء الطبيعة)، وعلم النظر في المقادير (الرياضيات والفلك والهندسة).

وقد رتب ابن خلدون العلوم بحسب أهميتها للمتعلم على النحو التالي:

1- العلوم الدينية وهي العلوم المقصودة بالذات مثل القرآن الكريم والحديث الشريف.

2- العلوم العقلية وهذه أيضاً علوم مقصودة مثل العلم الطبيعي.

3- العلوم الآلية المساعدة للعلوم الشرعية مثل اللغة والنحو والبلاغة.

4- العلوم الآلية المساعدة للعلوم العقلية مثل علم المنطق

- أهداف التربية عند ابن خلدون: يرى ابن خلدون أن للتربية أهدافاً هي:

- إعطاء الفرصة للفكر لكي ينشط.

- إعطاء الإنسان الفرصة لكي يحيى حياة طيبة في مجتمع راق متحضر.

- إعطاء الإنسان الفرصة لكسب الرزق وتنمية الخصال الحميدة فيه ويعتبر أن الأساس في التعلّم القرآن الكريم(علي أحمد مذكور، 2001).
- وقد تعددت آراء ابن خلدون التربوية نذكر منها ما يلي:
- أن كثرة التأليف في العلوم عائقة على التحصيل: ويقصد ابن خلدون هنا، كثرة المؤلفات والمصطلحات في العلم الواحد، بحيث يؤدي ذلك إلى نفور المتعلم من التعليم، وابن خلدون يهدف إلى التيسير علم المتعلم وبالأخص في بداية عهد الطالب بالتعليم.
- التدرج في تدريس العلوم للمتعلمين: يبدأ المعلم مع طلابه بالبسيط الذي يقبله عقله، ثم يتدرج معهم مستخدماً التكرار مع استعمال الأمثال الحسية، وبذلك يتم للمتعلم الحصول على العلم. وقد قرر ابن خلدون ثلاث قواعد عامة للمعلم وهي:
- على المعلم أن لا يخلط بمباحث الكتاب الواحد بكتاب آخر.
- أن لا يطيل الفواصل بين درس وآخر.
- أن لا يخلط على المتعلم علمين معاً.
- عدم إشغال المتعلم بعلمين في وقت واحد: إن تعليم الطلاب علمين في وقت واحد يشغل الطلاب ويعرضهم للفشل والإحباط، وذلك لأن عقل الإنسان محدود، وغير قادر على الإحاطة بأكثر من علم في وقت واحد.
- عدم الشدة على المتعلمين: انتقد ابن خلدون أسلوب العقاب الذي كان سائداً في عصره، وطلب من المعلمين استخدام الرحمة واللين مع الطلاب فقال: "ينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده أن لا يستبد في التأديب، واعتبر أن مجاوزة الحد في العقاب له أضرار على الطلاب ويعمل على إفساد أخلاقهم، وبذلك لا يتحقق الهدف من التعليم
- كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم تخل بالتعليم: يرى ابن خلدون أن من العوامل التي تقف في طريق التعليم اختصار كتب العلم فقال: "ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق في العلوم يولعون بها ويدونون منها مختصراً في كل علم يشتمل على حصر مسأله

وأدلتها باختصار الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن، وصار ذلك مخللاً بالبلاغة وعسراً في الفهم". قد انتقد ابن خلدون ذلك لأن بعض العلوم تحتاج إلى الإطالة والتكرار، لأن فيها مفاهيم ومعان لا يستطيع المتعلم فهمها بدون الإطالة والتكرار، ولأن اختصار العلوم يصيبها بالخلل وتصبح عسيرة على الفهم وخاصة لصغار المتعلمين، لعدم وجود الاستعداد والقدرة لفهم المختصرات.

- **طرق التدريس:** أجاز ابن خلدون للمعلمين استخدام أكثر من طريقة واحدة في التدريس، فأجاز لهم استخدام الطريقة التي تناسب قدرات وميول وإمكانيات الطلاب لأن التعليم عنده صناعة والصناع يختلفون في طرق صناعتهم، ولكل صناعة طرق مختلفة ويحق للمعلم أن يستخدم كل الطرق أو بعضها لتحقيق الأهداف المرجوة، ومع أن ابن خلدون أباح استخدام الطرق التي تناسب المعلم إلا أنه يشجع على استخدام طريقة المناقشة فالتعليم عند ابن خلدون يهدف إلى حصول المتعلم على ملكة العلم؛ حيث يصبح على درجة عالية من الفهم وليس فقط حفظه دون فهم وتعمق، لذا انتقد ابن خلدون الطريقة القيروانية التي كانت في زمانه تركز على الحفظ بشكل كبير، ووصف الطلاب بأنهم يلتزمون الصمت والسكون التام دون مشاركة (علي أحمد مدكور، 2001).



## قائمة المراجع:

- 1- علي أحمد مذكور (2001)، **مناهج التربية-أسسها وتطبيقاتها**، دار الفكر العربي، نصر، مصر.
- 2- طه عبد الرحمان (2006)، **الحق العربي في الاختلاف الفلسفي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
- 3- أحمد علي الحاج محمد (2002)، **في فلسفة التربية نظريا وتطبيقيا**، دار المناهج، ط1، عمان، الأردن.
- 4- أحمد عماد الدين خواني (2013)، **إبستمولوجية النظرية السوسولوجية**، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع تخصص تنمية وتسيير الموارد البشرية، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر.
- 5- عبد الرحمان النحلاوي (2010)، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها**، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.
- 6- ماجد عرسان الكيلاني (1998)، **أهداف التربية الإسلامية**، ط2، دار التراث، المدينة المنورة.
- 7- ماجد عرسان الكيلاني (1987)، - **فلسفة التربية الإسلامية "دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة"**، دار المنارة للنشر، جدة.
- 8- محمود عبد اللطيف (2009)، **الفكر التربوي عند بن سينا**، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سورية.
- 9- أنطوان خوري (1964)، **أعلام التربية-حياتهم، آثارهم**، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- 10- عمر أحمد همشري (2007)، **مدخل إلى التربية**، دار الصفا للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.